أجمل ما كتب شاعر

الجندول

على محمود طه

أختيار وتقديم

د. سمير سرحان   د. محمد عنانى

أجمل ما كتب شاعر الجندول

مهرجان القراءة للجميع ٩٦
مكتبة الأسرة
برعاية السيدة سوزان مبارك
(روائع الأدب العربى)

أجمل ما كتب شاعر
الجندول
على محمود طه

لوحة الغلاف
للفنان جمال قطب

تصميم الغلاف
الانجاز الطباعى والفنى
محمود الهندى

المشرف العام
د. سمير سرحان

الجهات المشتركة:
جمعية الرعاية المتكاملة المركزية
وزارة الثقافة
وزارة الإعلام
وزارة التعليم
وزارة الحكم المحلى
المجلس الأعلى للشباب والرياضة
التنفيذ: هيئة الكتاب

على سبيل التقديم...

لأن المعرفة أهم من الثروة وأهم من القوة فى عالمنا المعاصر وهى الركيزة الأساسية فى بناء المجتمعات لمواكبة عصر المعلومات.. من هنا كان مهرجان القراءة للجميع دلالة على الرغبة الطموحة فى تنمية عالم القراءة لدى الأسرة المصرية أطفالاً وشباباً ورجالاً ونساءً..

وكان صدور مكتبة الأسرة ضمن مهرجان القراءة للجميع منذ عام ١٩٩٤ إضافة بالغة الأهمية لهذا المهرجان كأضخم مشروع نشر لروائع الأدب العربى من أعمال فكرية وإبداعية وأيضاً تراث الإنسانية الذى شكل مسيرة الحضارة الإنسانية مما يعتبر مواجهة حقيقية للأفكار المدمرة.

هكذا كانت مكتبة الأسرة نافذة مضيئة لشباب هذه الأمة على منافذ الثقافة الحقيقية فى الشرق والغرب وعلى ما أنتجته عبقرية هذه الأمة عبر مسيرتها التنويرية والحضارية..

إن مئات العناوين وملايين النسخ من أهم منابع الفكر والثقافة والإبداع التى تطرحها مكتبة الأسرة فى الأسواق بأسعار رمزية أثبتت التجربة أن الأيدى تتخاطفها وتنتظرها فى منافذ البيع ولدى باعة الصحف لهو مظهر حضارى رائع يشهد للمواطن المصرى بالجدية اللازمة والرغبة الأكيدة فى الإسهام فى ركب الحضارة الإنسانية على أن يأخذ مكانه اللائق بين الأمم فى عالم أصبحت السيادة فيه لمن يملك المعرفة وليس لمن يملك القوة.

د. سمير سرحان

تقديـــــم

لا يكاد على محمود طه يحتاج إلى تقديم ، فالجيل الذى انتمى إليه يألف شعره الرقيق وحبه للجمال والطبيعة والحرية ، ويكاد يرى فيه مثلاً لكل ما كنا نصبو إليه صغاراً حين نذكر فنون أوربا وطبيعتها الخلابة ، والجيل التالى لنا يعرفه من قصائده التى سمعها من محمد عبد الوهاب مثل الجندول وكليوباترة ، ونحن وهم لا نملك إلا الشجن عندما نسمع قصيدته الأخرى التى يغنيها عبد الوهاب أيضاً «أخى جاوز الظالمون المدى ...» والتى تتصدر هذه المجموعة .

ولمن لا يعرفون الكثير عن صائغ هذه الدرر البديعة ، نقدم لمحة موجزة عن حياته وشعره ، فالأصل هو النص الشعرى ، وهذا هو لب الكتاب . ولد على محمود طه فى المنصورة عام ١٩٠٢ وتعلم أولاً فى الكتّاب ثم دخل المدرسة الابتدائية ، وبعد أن نال شهادتها ، وُلد عنده – كما يقول شوقى ضيف **(الأدب العربى المعاصر فى مصر)** «شغف بالعلوم التصنيعية ، فرفض الإلتحاق بالمدرسة الثانوية وآثر الإلتحاق بمدرسة الفنون التطبيقية يدرس فيها الهندسة . وفى سنة ١٩٢٤ تخرج حاملاً شهادة تؤهله لمزاولة مهنة هندسة المبانى» .

وقد أقبل على الوظيفة الحكومية لأنها كانت توفر له الوقت الكافى للتأمل والقراءة ، فعمل أولاً موظفاً بسيطاً بهندسة المبانى فى بلدته المنصورة ، وبدأ ينشر قصائده ويلفت الأنظار

إليه ، ولم يبلغ الخامسة والعشرين حتى كان قد تمكن من نشر بعض أشعاره فى جريدة السياسة الأسبوعية ، وساهمت قصائده تلك مع ما كانت الجريدة تنشره فى إذكاء الروح الرومانسية التى كانت تملأ الجو آنذاك ، وسرعان ما أصبح علماً من أعلام مدرسة أبولو التى أرست أسس الرومانسية فى الشعر العربى ، والطريف أنه كان يحقق المثل الأعلى الرومانسى الذى كان يريده أصحاب مدرسة الديوان (العقاد وشكرى والمازنى) وهو الصدق - وتحديداً ما كان العقاد ينعى فقدانه فى شعر شوقى أى عدم إفصاح الشعر عن الشاعر .

فكان على محمود طه فى حياته مثالاً لما يقوله فى شعره ، وهذه هى شهادة أحمد حسن الزيات :

كان شاباً منضور الطلعة ، مسجور العاطفة ، مسحور المخيلة ، لايبصر غير الجمال ، ولا ينشد غير الحب ، ولا يطلب غير اللذة ، ولا يحسب الوجود إلا قصيدة من الغزل السماوى ينشدها الدهر ويرقص عليها الفلك .

«كان كالفراشة الجميلة الهائمة فى الحقول تحوم على الزهر، وترف على الماء ، وتخفق على العشب ، وتسقط على النور ، لا تكاد تعرف لها بغية غير السبوح ، ولا لذة إلا التنقل . ثم تتبعته بعد ذلك فى أطواره وآثاره ، فإذا الفراشة الهائمة على أرباض المنصورة تصبح الملاح التائه فى خضم الحياة ، والأرواح الشاردة فى آفاق الوجود ، والأرواح والأشباح فى أطباق اللانهاية وإذا الشاعر الناشئ يغدو الشاعر المحلق تارة

بجناح الملك ، وتارة بجناح الشيطان ، يشق الغيب ويقتحم الأثير ، ويصل السماء بالأرض ، ويجمع الملائكة والشياطين بالناس» .

ويجدر بنا أن نشير هنا إلى الدقة العلمية التى تحراها طه حسين عندما يتحدث عن الشاعر فى **حديث الأربعاء** فهو يتحدث عن شخصية فنية ، بمعنى القناع الذى يلبسه الشاعر فى شعره ويخفى وراءه وجهه الحقيقى ، مهما يكن من شبه بينهما ، فالشعر الذى يقوله الشاعر ليس الشاعر ، ولذلك فطه حسين سباق فى هذا المجال النقدى الحديث .

على أى حال ، ظل على محمود طه يتقلب فى المناصب الحكومية ، فانتقل إلى وظيفة مدير المعرض الخاص بوزارة التجارة ، ثم استقر نهائياً فى القاهرة مديراً لمكتب الوزير ، وبعدها التحق بسكرتارية مجلس النواب ، مما هيأ له التنقل فى القاهرة التى كانت ما تزال روضاً أريضاً ، ومنها كان يسافر إلى خارج مصر بانتظام ويتقن عدة لغات أوربية فى سفراته تلك، ويخرج الديوان بعد الديوان ، ولكن الوظيفة الحكومية التى قربته من السياسة تتنكر له فيستعيض عنها بقرض الشعر ، وعندما يعين آخر الأمر وكيلاً لدار الكتب عام ١٩٤٩ ويبدأفى التفرغ للنظم ، يعاجله القدر المحتوم فيرحل عن الدنيا فى آخر العام (١٧/١١/١٩٤٩) .

والمفتاح لشعر هذا الشاعر هو فكرة الفردية الرومانسية والحرية التى لا تتأتى بطبيعة الحال إلا بتوافر الموارد المادية ،

التى تحرر الفرد من الحاجة ولا تشعره بضغوط الفاقة ، فقد ولد لأسرة ميسورة ونعم فى صباه ورجولته بما يكفى من الموارد للترحال والتنقل ، بحيث لم يكن يستطيع أن يرى سوى الجمال ، وأن يخصص قراءاته فى الآداب الأوربية للمشكلات الشعرية التى شغلت الرومانسيين ، عن الإنسان والوجود والفن وما يرتبط بذلك كله من إعمال للخيال الذى هو سلاح الرومانسية الماضى . وهذا ما يقوله طه حسين :

«إن شخصيته الفنية محببة إلىّ حقاً ، فيها عناصر تعجبنى كل الإعجاب ، وتكاد تفتننى وتستهوينى ، فيها خفة الروح ، وعذوبة النفس ، وفيها هذه الحيرة العميقة ، الطويلة العريضة ، التى لا حدّ لها ، كأنها محيط لم يوجد على الأرض . هذه الحيرة التى تصور الشاعر ملاحاً تائهاً حقاً ، والتى تقذفه من شك إلى شك ، ومن وهم إلى وهم ، ومن خيال إلى خيال ، والتى لا تستقر به على حقيقة حتى تزعجه عنها إزعاجاً وتدفعه عنها دفعاً ، وتقذف به إلى حقيقة أخرى لا يكاد يدنو منها ويتبيّنها بعض الشئ حتى يراها أشد هولاً وأعظم نكراً ، وإذا هو يهرب منها ويجدّ فى الهرب» .

وتأثير شعراء الغرب فيه أوضح من أن يحتاج إلى برهان ، فهو يترجم قصيدة «إلى قبره» للشاعر الانجليزى شلى ، وقصيدة البحيرة للامارتين ، ويقول طه حسين إنه يذكره «تذكيراً قوياً بموسيه» (**حديث الأربعاء** – ص ١٤٦) – وإن لم يكن ذلك التأثير مقصوراً عليه ، فجميع أصحاب مدرسة أبولو قد تأثروا بالغرب وبأنواع النظم الغربى .

وسوف يدرك القارئ لأوّل وهلة مدى اختلاف شعر على محمود طه عن شعر شاعر مثل شوقى مثلاً ، فشاعرنا هنا من أول من ثاروا على وحدة القافية (بل ووحدة البحر - انظر **فلسفة وخيال**) ناشداً فى ذلك وحدة القصيدة أى الوحدة النفسية التى اقتضته ألا يمزج «أغراض» الشعر بأسلوب شوقى ، ولا أن يسعى لوضع الأبيات التى تشبه الحكم المأثورة ، بل أن يسعى إلى أن تكون كل قصيدة - كما يقول الدكتور هيكل فى **ثورة الأدب** (ص٦٠) بمثابة «فكرة أو صورة أو عاطفة يفيض بها القلب ، فى صيغة متسقة من اللفظ ، تخاطب النفس وتصل إلى أعماقها، من غير حاجة إلى كلفة أو مشقة».

إن إدراك هذا الجهد الذى بذله على محمود طه يفسر لنا كيف وجد المحدثون ، الذين كانوا يبنون بنيانهم على أسس مدرسة أبولو ، يسراً فى صياغة الشعر الجديد ، والانتقال بيسر أكبر إلى وحدة التفعيلة - التى كانت النقلة الطبيعية من حركة التحرر الرومانسى إلى حركة التحرر الحديث فى الأدبين الغربى والعربى جميعاً .

ورغم توقف مجلة أبولو عن الصدور عام ١٩٣٥ فقد استمر على محمود طه يرفع لواءها فى دواوينه المتتالية التى تزامن صدور ستة منها مع سنوات الحرب العالمية الثانية ، دون أن تحس لهذه الحرب أثراً فى شعره ، وإن كنت تسمع أصداء من ينشد للإنسان ويهفو للسلم والحرية ، معلياً قيمة الجمال باعتبارها القيمة الإنسانية العليا (مثل الشاعر

الإنجليزى جون كيتس) وكما يقول الدكتور محمد مندور ، كانت «حاسته الجمالية» هى التى تقيه الابتذال ، حتى حينما يبدو للقارئ أنه يبالغ فى الأوصاف الحسية أو يتحدث عن الخمر (**قضايا جديدة فى الأدب الحديث**) .

ومن تراث الرومانسية الغربية استقى على محمود طه صورة «الشاعر» التى كان العقاد يعليها من قبل ، فهما فى هذا يتفقان رغم اختلاف مذاهبهما الشعرية ، فعلى محمود طه يرى مثل شلى أن الشاعر هو وحده القادر على فهم روح الإنسان ، وأنه وحده القادر على ترجمة هذا الفهم إلى وشائج صلة بين الأرواح ، وإذا كان العقاد ينسب هذه القدرة إلى «الشعور» (مثل وردزورث) فإن شلى هو أيضاً يدين بدين كبير إلى أستاذ الرومانسية الأكبر وردزورث .

وبعد فهذه مختارات قليلة نرجو أن تطفئ غلة الظامئ إلى جمال الشعر العربى الحديث وأن تكون مقدمة لقراءة دواوين الشاعر – ونأمل أن يرى الجيل الجديد فيه ما كنا نراه ، رغم طوفان الشعر الجديد .

د. سمير سرحان

د. محمد عنانى

١ - فلسطين

أخى ، جـــاوزَ الظّالمونَ المَدَى
فــحقٌ الجــهــادُ ، وحَقٌ الفِدا
أنتــركــهُمْ يَغـصــبـونَ العُروبةَ
مــجــدَ الأبوّةِ والســـؤددا ؟
وليسـوا بِغَيْرِ صليلِ السيـوفِ
يُجـيبـونَ صـوتاً لنا أو صـدى
فــجــرِّدْ حــســامَكَ من غــمــدِهِ
فليسَ لَهُ ، بَعْدُ ، أن يُغـمــدا

*　*　*

أخى ، أيّهـــا العـــربىٌ الأبىٌ
أرى اليـومَ مـوعـدَنَا لا الغَدا
أخى ، أقـبلَ الشـرقُ فى أمّةٍ
تردٌ الضّلالَ وتُحــيـى الهُدى
أخى ، إنّ فى القدسِ أختاً لنا
أعَدّ لهـــا الذابحــونَ المُدى
صــبـرنا على غَدْرهِمْ قــادرينَ
وكـنـا لَهُمْ قَدَراً مُرصـــــــدا
طَلَعْنا عليــــهمْ طلوعَ المنونِ
فطاروا هَبـاءً ، وصــاروا سُدى

أخى ، قُمْ إلى قبلةِ المشرقَيْنِ
لنحمى الكنيسةَ والمسجدا
أخى ، قُمْ إليها نشقُّ الغمارَ
دماً قانياً ولظى مرعدا
أخى ، ظمئتْ للقتالِ السيوفُ
فأوردْ شبَاها الدمَ المُصْعدا
أخى ، إن جَرَى فى ثراها دمى
وشبَّ الضرامُ بها موقدا
ففتِّشْ على مهجةٍ حُرَّةٍ
أبَتْ أن يَمُرَّ عليها العِدا
وَخُذْ رايةَ الحقِّ من قبضةٍ
جلاها الوَغَى ، ونماها النَّدى
وَقَبِّلْ شهيداً على أرضها
دعا باسمِها اللهَ واستشهدا
فلسطينُ يَفدى حِماكِ الشبابُ
وجلَّ الفدائى والمُفتدى
فلسطينُ تحميكِ منا الصدورُ
فإمَّا الحياة وإمَّا الرَّدى

٢ – مصر

هَوىً لكِ فيهِ كلُّ ردىً يُحَبُّ
فَديتُكِ ! هل وراءَ الموتِ حُبُّ ؟
فديتُكِ مصرُ ، كلُّ فتىً مشوقٌ
إليكِ ، وكلُّ شيخ فيكِ صَبُّ
ويحلمُ بالفِدَى طفلٌ فطيمٌ
وكلُّ رضيعةٍ فى المَهْدِ تحبُو
اراكِ و أينما ولَّيتُ وجهى
أرى مهَجاً لوجهكِ تَشْرئبُّ
وأرواحاً عليكِ محوِّماتٍ
لها فوقَ الضِّفافِ خُطىً ووثْبُ
عليها من دَمِ الغادينَ غارٌ
له بيديكِ تضفيرٌ وعَصْبُ
حَمَتْكِ صدورُها يومَ التَّنادى
ووقَّتْكِ الليالىَ وهىَ حَرْبُ
إذا رامتكِ عاديةٌ وشقَّتْ
فضاءَكِ غيلةً ورماكِ خَطْبُ
دَعَتْ بالنَّهرِ فَهُوَ لَظىً ووقْدٌ
وبالنَّسمات فهى حصىً وَحصْبُ

وبالشجرِ المنوَّرِ فهو غيلٌ
وكلُّ غُصونِهِ ظُفرٌ وخِلْبُ
حقائقُ عن يدِ الإيمانِ ترمى
صواعقَ وَمْضُها رُجْمٌ وشُهْبُ
لها فى مهجةِ الجبَّارِ فَتكٌ
وفى عينيهِ إيماضٌ وسكْبُ
صَنائعُ كالغنائيَّاتِ يَشْدُو
بها شرقٌ ، ويُلْقِى السمعَ غَرْبُ

٣ - أغنية الجندول

فى كَرنڤال ڤينيسيَا

أين منْ عــينىٌ هاتيكَ المجــالى
يا عروسَ البحرِ ، يا حُلْمَ الخيالِ
أينَ عُشّاقُكِ سُمّارُ الليــالى
أين من واديكِ ، يا مهدَ الجمالِ
موكبُ الغيدِ وعيدُ الكرنڤالِ
وسُرَى الجُندولِ فى عَرْضِ القنالِ
بين كأسٍ يتشهّى الكرمُ خمرَهْ
وحبيبٍ يتمنَّى الكأسُ ثغرَهْ
إلتقتْ عينى بهِ أوَّلَ مرَّهْ
فعرفتُ الحبَّ من أوَّلِ نظرَهْ
أينَ من عــينىٌ هاتيكَ المجــالى
يا عروسَ البحرِ ، يا حُلْمَ الخيالِ
مرَّ بى مُستضحِكاً فى قُرْبِ سَاقى
يَمــزُجُ الراحَ بأقــداحٍ رِقــاقِ
قــد قَصَدْناهُ على غَيْرِ اتفــاقِ
فنظرنا ، وابتســمنا للتَّلاقى

وهو يَسـتـهـدِى على المَفْرِقِ زهرَهْ
ويُسـوِّى بِيَدِ الـفتْنَةِ شَعْرَهْ
حـينَ مـسَّتْ شَفَتِى أولُ قطرَهْ
خِلْتُهُ ذوَّبَ فـى كـاسـِى عِطْرَهْ

أينَ منْ عـينىَّ هاتيكَ المجـالى
يا عروسَ البحرِ ، يا حُلْمَ الخيالِ

قلتُ ، والنشوةُ تسرى فى لسانى :
هاجتِ الذكرى ، فـأينَ الهَرَمـانِ ؟
أين وادى السِّحرِ صدَّاحَ المغانى ؟
أينَ مـاءُ النيل ؟ أين الضفَّتَان ؟

آهِ ، لو كنتَ مـعى نختـالُ عَبْرَهْ
بشـراعٍ تَسـبحُ الأنجمُ إثْرَهْ
حـيث يَروى الموجُ فى أرخمِ نَبْرَهْ
حُلْمَ ليلٍ من ليـالى كليـوبتـرَهْ

أينَ منْ عـينىَّ هاتيكَ المجـالى
يا عروسَ البحرِ ، يا حُلْمَ الخيالِ

أيها الملاحُ ، قِفْ بينَ الجسـورِ
فـتنةِ الدنيـا ، وأحـلامِ الدهورِ

صـــــفَّقَ الموجُ لـولدانٍ وحـــــورِ
يُغــرقــونَ اللَّيْلَ فى يَنبــوعِ نورِ
مـــا ترى الأغْيَدَ وضَّاءَ الأسِرَّهْ ؟
دقَّ بـالسَّاقِ وقـــــد أسْلَمَ صَدْرَهْ
لِمُحبٍّ لـفَّ بالســـاعِدِ خَصْرَهْ ؟
ليتَ هذا الليلَ لا يُطْلِعُ فــجــرَهْ !
أينَ منْ عــينىَّ هـاتيكَ المجــالى
يا عـروسَ البحـرِ ، يا حُلْمَ الخيالِ
رَقَصَ الجُندولُ كـــالنَّجْمِ الوضىِّ
فاشْدُ ، يا ملاحُ ، بالصوتِ الشجىِّ
وتَرَنَّمْ بـالـنشــــيـــــدِ الوثَنىِّ
هذهِ الـليـلةُ حُلْمُ الـعَبـــقـــرىِّ

شـاعتِ الفـرحـةُ فـيـهـا والمَسـرَّهْ
وجَلا الحُبُّ عــلــى الـعُشَّاقِ سِرَّهْ
يَمْنـةً مِلْ بـى ، عـلـى الماءِ ، ويَسْرَهْ
إنَّ لـلـجـنـدولِ تحـتَ الـلـيـلِ سِحْرَهْ
أينَ ، يـا ڤـينيسيا ، تلك المجـالى ؟
أينَ عُشـــاقُكِ سُمَّارُ الـلـيـــالـى ؟

أينَ من عـينىَّ أطيـافُ الجـمـالِ ؟
مَوْكبُ الغْيـدِ وعـيدُ الكرنڤـالِ ؟
يا عروسَ البحر ، يا حلْمَ الخَيالِ !!

✍ ✍ ✍

٤ - ليالى كليوبتره

كليوبترا ! أىُّ حُلْمٍ من لَياليكِ الحسانِ
طافَ بالمَوْجِ فغنَّى ، وتغَنَّى الشاطئانِ
وَهفَا كلُّ فؤادٍ ، وشدَا كلُّ لسانِ :
هذهِ فاتنةُ الدُّنْيا وحسناءُ الزَّمانِ

بُعِثَتْ فى زورقٍ مُسْتَلْهَمٍ من كلِّ فنٍّ
مَرِحِ المجدافِ يختالُ بحوراءَ تُغنِّى

يا حَبيبى ، هذهِ ليلةُ حُبِّى
آهِ لو شاركتَنى أفراحَ قلْبى !

نبأةٌ كالكأسِ دارتْ بين عُشَّاقٍ سُكارَى
سَبَقَتْ كلَّ جَناحٍ فى سماءِ النيلِ طارا
تحملُ الفتنةَ ، والفرحةَ ، والوجدَ المُثَارا
حلوةً صافيةَ اللَّحْنِ كأحْلامِ العذارى

حُلْمُ عَذراءَ دعاها حبُّها ذاتَ مساءِ
فتَغَنَّتْ بشراعٍ من خَيالِ الشعراءِ

يا حَبيبى ، هذهِ ليلةُ حُبِّى
آهِ لو شاركتَنى أفراحَ قلْبى !

وتَجَلّىٰ الزورقُ الصاعدُ نشوانَ يَميدُ
يَتَهدَّاهُ على الموجِ نَواتيٌّ عَبيدُ
المجاديفُ بأيديهِمْ ، هتافٌ ، ونشيدُ
ومُصَلُّونَ لَهُمْ في النهرِ مِحرابٌ عتيدُ
سَحَرَتْهم رَوْعَةُ اللَّيلِ فَهُمْ خَلْقٌ جَديدُ
كلُّهمْ رَبٌّ يُغَنِّي وإلهٌ يَستعيدُ

يا حَبيبي ، هذهِ ليلةُ حُبِّي
آهِ لو شاركتَني أفراحَ قَلْبي !

إصدَحي ، أيتها الأرواحُ ، باللَّحْنِ البديعِ
إمرَحي ، يا راقصاتُ الضوءِ ، بالموْجِ الخليعِ
قَبِّلي ، تحتَ شراعي ، حُلُمَ الفنِّ الرفيعِ
زورقاً بينَ ضفافِ النيلِ في ليلِ الرَّبيعِ
رنَّحَتْهُ موجةٌ تَلعبُ في ضوءِ النُّجومِ
وتنادي بشعاعٍ راقصٍ فوقَ الغيومِ

يا حَبيبي ، هذهِ ليلةُ حُبِّي
آهِ لو شاركتَني أفراحَ قَلْبي !

ليلُنا خمرٌ وأشواقٌ تُغَنِّي حولنا
وشراعٌ سابحٌ في النُّورِ يَرْعَى ظِلَّنا

كانَ فى اللّيْلِ سُكارَى ، وأفاقوا قبلَنَا
لَيْتَهُمْ قد عَرَفوا الحبَّ فباتوا مثْلَنَا

كلّما غرّدَ كأسٌ شربوا الخمرةَ لحناً
يا حبيبى ، كلُّ ما فى اللّيلِ روحٌ يتغنّى
هاتِ كــــأسى ، إنهـــا ليلةُ حُبِّى
آهِ لو شـــاركــتَنى أفـــراحَ قَلْبى !

يا ضِفافَ النيلِ باللهِ ويا خُضْرَ الروابى
هل رأيتنَّ على النَهْرِ فتىً غَضَّ الإهابِ
أسمرَ الجبهةِ كالخمرةِ فى النُّورِ المُذابِ
سابحاً فى زورقٍ من صنْعِ أحلامِ الشبابِ ؟

إنْ يكُنْ مَرَّ وَحَيَّا من بعيدٍ أو قريبِ
فَصِفيهِ ، وأعيدى وصْفَهُ ، فهو حبيبى!
يا حَبـــيـــبى ، هذهِ ليلةُ حُبِّى
آهِ لو شـــاركــتَنى أفـــراحَ قَلْبى !

أنتِ يا من عُدْتِ بالذكرى وأحلامِ الليالى
يا ابنةَ النَّهرِ الذى غَنَّاهُ أربابُ الخيالِ
وتمنَّتْ فيهِ لو تسبحُ ربّاتُ الجمالِ
موجهُ الشّادى عشيقُ النُّورِ ، معبودُ الظِّلالِ

لم يَزَلْ يَروِى ، وتُصغى للرواياتِ الدهورُ
والضفافُ الخضرُ سكرى ، والسنى كأسٌ تدورُ
حُلُمٌ لم تروِهِ ليلةُ حُبٍّ
فاذكريه ، واسمعى أفراحَ قلبى !

✍ ✍ ✍

٥ - العام الهجرى الجديد

غَنِّ بالهجرة : عاماً بعدَ عامِ
وادْعُ للحقِّ ، وبشِّرْ بالسَّلامِ
وترسَّلْ ، يا قَصيدى ، نَغَماً
وتنقَّلْ بين مَوْجٍ و غمامِ
صوتُكَ الحقُّ ، فلا يأخُذْكَ ما
فى نواحى الأرضِ من بَغْيٍ و ذامِ
كُنْ بشيرَ الحبِّ والنورِ إلى
مُهَجٍ كلْمَى ، وأكبادٍ دَوامى
هَجَرَتْ أوطانَهَا واغتربتْ
فى مثالىٍّ من المبدإ سامِ
أنِفَتْ عيشَ الرقيقِ المجتَبى
وأَبَتْ ذُلَّ الضَّميرِ المسْتضامِ
يا دُعاةَ الحقِّ : هذى محنةٌ
تُشْعِلُ الرُّوحَ بمشبوبِ الضرامِ
هذهِ حربُ حياةٍ ، أو حِمامِ
وصراعُ الخيرِ ، والشرِّ العُقامِ

خـاضـهـا الإسـلامُ فـرداً ، وهَدَى
بيــــراعٍ ، وتحـــدَّى بحـــســـام
هـجـــرةٌ كـــانت إلى اللهِ ، وفى
خطْوِهَا : مـــولِدُ أحْداثٍ جِســـامِ
أخطأ الشـيطانُ مَسْراهـا ، فـيـا
ضَلَّةَ الشـيطانِ فى تلك المَوامى !
آبَ بـالخَيْبَةِ من غــــــايتـــــهِ
وهو فـوقَ الأرضِ ملعـونُ المقـامِ
صـــفــحــاتٌ من صــراعٍ خـالدٍ
ضُمِّنَتْ كلَّ فـــخـــارٍ ووســـامِ
لـم تُتَحْ يومــــاً لجـــبَّارٍ طَغَى
أو لبـــاغٍ فـــاتكِ السَّيْفِ عُرامِ
بـل لدَاعٍ أعــــزلٍ فـى قـــــومِهِ
مــسـتـبـاحِ الدَّمِ مـهـدورِ الذِّمـامِ
زلـزلَ الـعــــالـم من أقـطـارِهِ
بِقُوىَ الرُّوحِ على القَوْمِ الطَّغـــامِ
وبَنَى أوَّلَ دنـيـــــــــا حُرَّةٍ
بَرِئَــتْ مـــن كـــلِّ ظـــلـــمٍ وآثـــامِ

تَسَعُ الـنـاسَ عـلـى ألـوانـهـم
لم تفـرِّقْ بين آرىً وسـامى

* * *

حـاطِمَ الأصنام : هَلْ منكَ يَدٌ
تَذَرُ الظلمَ صديعـاً من حُطام ؟
لم تُطِقْهـا حـجَراً أو خَشَبـاً
ويُطاق اليـومَ أصنامُ الأنامِ !!
وعـجـيبٌ صُنْعُهم فى زمنٍ
أبْصَرَ الأعـمى به والمتَعـامى !
وتُرجى عـودةَ المجـدِ الذى
أعـجـزَ البَانى ، وأعيَا المتـسامى
من بيـوتٍ هاشـمـيَّاتِ البنَى
وعُروشٍ أمـويَّاتِ الدعـام
ونتـاجٍ من نُهىً جـبَّارةٍ
وتراثٍ من حَضَاراتٍ ضـخـام
قلْ لها ، يا عامُ : لا هُنْتِ ، ولا
كنتِ إلا مـهـدَ أحـرارٍ كـرام
ذاكَ مـجـدٌ لم ينَلْهُ أهلُه
بالتـمنِّى ، والتـغنِّى ، والكلام

بـل بـآلامٍ ، وصـــــــبْرٍ وضنىً
ودمـــوعٍ ، ودمٍ حُرٍّ ســـجــــامِ
قُلْ لـهـــــــا : إنَّ الـرَّحـى دائرةٌ
واللَّيـــالى بَيْنَ كـــرٍّ وصـــدامِ
فــاســتــعــدى لغــدٍ إنَّ غــداً
نُهْزَةُ الســبَّاقِ فى هذا الزحــامِ !
واجـــمـــعـى أمــركِ لليَوْمِ الذى
يَحْمِلِ البُشْرَى لعُشَّاقِ الســلامِ !

✍ ✍ ✍

٦ - البحيرة

عن الفونس لامارتين

ليتَ شــعــرى أهكذا نحنُ نمضى

فى عُبــابٍ إلى شــواطئَ غُمْضِ

ونـخــوضُ الزمــانَ فى جُنْحِ ليلٍ

أبدىٍّ ، يُضنى النفــوسَ ويُنضى

وضـفـافُ الحـيـاةِ ترمُقُها العيــ

ــنُ فــبــعضٌ يمــرُّ فى إثرِ بعضِ

دون أنْ نملكَ الرجــوعَ إلى مــا

فـاتَ منهـا ، ولا الرسـوَّ بأرضِ ! ؟

* * *

حَدِّثى القلبَ ، يا بحـيـرةُ ، مـالى

لا أرى « أولفـيرَ » فوقَ ضـفـافِكْ

أوْشكَ العــامُ أن يمــرَّ ، وهذا

مــوعــدٌ للقــاءِ فى مُصطافِكْ

صــخـرةَ العـهـدِ ! ويكِ ، هـأنذا عُدْ

تُ ، فـمــاذا لديكِ عن أضـيـافِكِ ؟

عدتُ وحدى أرعَى الضفافَ بعينٍ
سفكتْ دمعَها الليالى السوافِكْ

* * *

كنتِ بالأمسِ تهدرينَ كما أنـ
ـتِ هديراً يهزُّ قلبُ السكونِ
وضفافٍ أمواجُهَا يتداعـ
ـين على هذهِ الصخورِ الجونِ
والنسيمُ العليلُ يدفعُ وَهْنًا
زَبَدَ الموجِ للربُى والحزونِ
ملقياً رغوَها على قَدَمَيْها
ليِّنَ المسِّ مستحبَّ الأنينِ

* * *

أتُرى تذكرينَ ليلةَ كنا
منكِ فوقَ الأمواجِ ، بينَ الضفافِ
وسرى زورقٌ بنا يتهادى
تحتَ جنحِ الدُّجى وسترِ العفافِ ! ؟
فى سكونٍ ، فليسَ نسمعُ فوق المـ
ـوجِ إلا أغانىَ المجدافِ

تتــلاقى على الرُّبى والحــوافى

بأناشــيــدِ مــوجِك العــزَّافِ ؟ ؟

*   *   *

وعلى حــينِ غــرةٍ رنَّ صــوتٌ

لـم يُعَوَّدْ ســمــــاعَه إنسـىٌّ

هبطَ الشـاطىءَ الطروبَ فما يُسمـ

ـعُ فـيــهِ للهــاتفــاتِ دوىٌّ

وإذا اللـيلُ ســاهمٌ سكَنَ النو

ءُ إليــــهِ وأنـصتَ اللـجىٌّ

يتلقى عن نبـأةِ الصـوتِ نجـوى

كـلمـــاتٍ ألقى بهنَّ نجىٌّ

*   *   *

يا زمـاناً يمـرُّ كـالطيـرِ مـهـلاً

طائرٌ أنتَ ؟ ويكَ ، قِفْ طيــرانَكْ !

أهناءَ الســاعــاتِ تجـرى وتعـدو

نا عطاشــاً ، فـقف بنا جـريانك !

ويكَ دَعنا نمرحْ بـأجــملِ أيا

مٍ ونَلقى ، من بَعْدِ خـوفٍ ، أمـانكْ

وإذا نحن لَذّةَ العيش ذقنا

ها ومرّت بنا فَدُرْ دوَرَانكْ !

* * *

بَيْدَ أنَّ الشقاءَ قد غمَرَ الأر

ضَ وفاضَ الوجودُ بالتاعسينا

كلهمْ ضارعٌ إليك يرجِّيك

فأسرعْ ! أسرعْ ! إلى الضّارعينا

وافترس مُشْقِيات أيامهمْ وام

ضِ رحىً تطحنُ الشقاءَ طحونا

رحمةً ، فاذكرِ النفوسَ الحزانى

وانسَ ، يا دهرُ ، أنفسَ الناعمينا !

* * *

عبثاً أنشدُ البقاءَ لعهدٍ

يَفْلِتُ اليومَ من يدى ويفرُّ

وسويعاتِ غبطةٍ ما أراها

ووشيكاً ما تنقضى وتمرُّ

وأنادى يا ليلةَ الوصلِ قرِّى

إن بعد السُّرى يطيبُ المقرُّ

أســـفـــاً للصبَّـــا وغــرٍّ ليـــالٍ
ليس يُبقى على صبـاهنَّ فـجـرُ

* * *

فلنحبَّ الغـــــداةَ ولنحىَ حبًّا
ولنكنْ فى الحياةِ بعضاً لبعضِ
ولنســارعْ فنقـتـفى إثرَ سـاعـا
تٍ فـقـد تؤذنُ النوى بالتـقـضِّى
إننا فى الحـيـاةِ فى عُرْضِ بحـرٍ
ليس نُلقى المرسـاةَ فـيـهِ بأرضِ
مـــا بـه مـــرفـــأ يَبـــينُ ولكنْ
نحن نمضى فى لجِّه ، وهو يمضى !

* * *

أكـــذا أنتَ ، أيهـــا الزَمَنُ الحـــا
قـدُ ، تغـتـالُ نشـوةَ اللحظاتِ ؟
حـيثُ يُزجِى لنا السـعـادةَ أمـوا
جـاً من الحبِّ زاخـرُ اللجـاتِ ؟
أكـذا أنت ، ذاهبٌ بليـالى الصـــ
ـــفـوِ عنا ســريعـةَ الخطواتِ ؟

أكــذا تنقــضى مــلاوةُ نعــمــا

ها كمـا ينقـضى شـقـاءُ الحـيـاة ؟

* * *

كيفَ حـدَّثْ : أغـالهـا منك صرفٌ

فى أبيـدِ الزَّمــانِ حــيثُ طواها ؟

ويكَ ، قل لى ، أليسَ نملكُ يومــاً

أن نراها ؟ أمــا تبــينُ خُطاها ؟

أتراها ولَّتْ جــمــيــعــاً ، ولما

تبقَ حـــتى آثارُها ، أتراهـا ؟

أوَذاكَ الدهرُ الذى افتنَّ فى صـــو

غِ صبـاها هو الذى قد مـحـاها ؟

* * *

أيُّهــذا الزمــانُ ، والعــدمُ العــا

تى ، غـريقـين فى سكونٍ وصـمتِ

أىْ عــمــيقَ اللجـاتِ : مــاذا بأيا

مِ صـبـانا ؟ مــاذا بهنَّ صنعتِ ؟

حـدثينى ، أمــا تعـيـدينَ مــا من

سكراتِ الغــرامِ منا اخــتطفتِ ؟

أوَ مــا تُطلقــينهــا من دياجــيـ

ـكِ ؟ أمـا تبـعـثـينها بعدَ مـوتٍ ؟

* * *

أنتِ ، يا هذهِ البـحــيـرةُ ، مــاذا

يكتمُ الموجُ فــــيكِ والشطآنُ

أيهــــا الغـــابةُ الظليلةُ رُدِّي

أنت ، يا من أبقى عليـهـا الزمـانُ

وهو يسطيعُ أن يُجِدَّكِ حـسناً ! !

إحـفظى لا أصـابَكِ النسـيـانُ ! !

قلَّ حــفظاً أن تذكـرى ليلةً مــرَّ

تْ وأنتِ الطبــيــعــةُ الحــسَّانُ

* * *

ليَكُنْ منكِ ، يا بحــيـرةُ ، مــا لجَّ

بكِ الصــمتُ أو جنونُ اصطخـابكْ

فى مــغــانيكِ حــاليـاتٍ تراءى

ضـاحكاتٍ على سـفـوحِ هِضـابكْ

فى مـروج الصَّنوبرِ الحـوِّ تهـفـو

سـابغـاتُ الأليـافِ حولَ شـعـابكْ

فى نتوءِ الصخورِ ، مشرفةِ الأعنا
قِ ، بيضاً ، تُطلُّ فوقَ عُبابكْ

* * *

وليكنْ فى العُبابِ يهدرُ أمـ
ـواجاً على شاطئيك مثلَ الرعودِ
فى انتحابِ الرياح تُعول فى الوديـ
ـانِ إعوالَ قلبىَ المفؤودِ
فى صدى الجدولِ الموقّع أنّا
تِ حشاهُ بالجندلِ الجلمودِ
فى شذاكِ السرىِّ ينشقُ منه الـ
ـقلبُ ريّا فردوسهِ المفقودِ ! ؟

* * *

وليكن فى النسيم ما هبَّ سار
يهِ يجوبُ الشطآن نحوكِ جَوْيا
فى جبينِ النجمِ اللجينىِّ يُلقى
فضةَ الضوءِ فى مياهكِ ذَوْبا
وليكنْ فى شتيتِ ما تسمعُ الأذ
نُ ، وفيما نراهُ عيناً وقلباً

ليكنْ هـاتفٌ منَ الصــــوتِ يتلو

« قـد أحـبًا وأخلصـا مـا أحـبـا »

✍ ✍ ✍

٧ - قبر شاعر

رثاء فوزى المعلوف

رفَّت عليـهِ مـورقـاتُ الغـصـونْ

وحـفَّهُ العـشْبُ بنـوَّارِهِ

ذلكَ قـبـرٌ لم يُشـدْهُ المنونْ

بلْ شـادهُ الشـعـرُ بآثارِهِ

أقـامَهُ من لـبِنـاتِ الـفنـونْ

وزانهُ المجـدُ بأحـجـارِهِ

ألقى به الشـاعـرُ عِبءَ الشـجـونْ

وأودعَ الـقـلـبَ بـأسـرارِهِ

* * *

وجـاورتْهُ نخلـةٌ باسـقَهْ

تجـثُم فى الوادى إلى جنبـهِ

كـأنهـا الثـاكلةُ الوامـقَهْ

تقـضى مـدى العُمْرِ إلى قـربِهِ

تئنُّ فـيـهـا النسـمـةُ الخـافـقَهْ

كـأنما تخـفقُ عن قلبـهِ

وتُرسلُ الأغنيةَ الشائقَهْ
قِمْريةٌ ظلَّتْ على حبِّهِ

* * *

ويُقبلُ الفجرُ الرقيقُ الإهابْ
يحنو على القبرِ بأضوائهِ
كأنما ينشُدُ تحتَ التراب
لؤلؤةً تُزرى بلألائهِ
إستلَّ منها الموتُ ذاكَ الشهابْ
غيرَ شُعاعٍ ، فى الدُّجى ، تائه
يَظَلُّ يهفو فوقَ تلكَ الشعابْ
يطوفُ باليَنبوعِ من مائهِ

* * *

ويذهبُ النُّورُ ويأتى الظلامْ
وتبزغُ الأنجمُ فى نسقهِ
حيرى ، تحوم الليلَ كالمستهامْ
أسهرهُ الثائرُ منْ شوقهِ
تبحثُ عن نجمٍ بتلكَ الرجامْ
هوتْ به الأقدارُ عن أفقهِ

أخٌ لهـــا فى الأرضِ ودُّ المقـــامْ
وآثر الغـــربَ على شـــرقـــهِ

* * *

ويُطلقُ الطيـرُ نشـيـدَ الصـبـاحْ
بنغـــمـــةٍ تصـــدُرُ عن حُزنهِ
يَمُدُّ فـــوقَ القـــبـــرِ منهُ الجناحْ
ويـرسلُ المـنقـــــارَ فـى ركنـهِ
أفــضى إلى الراقــدِ فــيـه وَباحْ
بــأنَّهُ المــلــهــمُ مــن فــنِّهِ
فَمِنْ قــوافــيــهِ اســتــمــدَّ النُّواحْ
ومن أغـــانيـــهِ صـــدى لحنهِ

* * *

وحــين تمضى نَسَمَاتُ الخــريفْ
وتمـلأُ الأرضَ رياحُ الشـــتـــاءْ
ويقـــبلُ الليلُ الدَّجِيُّ المخـــيفْ
فــلا ترى نجـمــاً ينيـرُ السـمــاء
هنـاكَ لا غـــصـنٌ عليـــهِ ورَيفْ
يـهــفــو ، ولا طيـرٌ يـثـيـرُ الغنـاء

يظلِّلُ الأرضَ الظلامُ الكثـــيفْ
كــــأنما تُمـــسى بوادى الفناءْ

*   *   *

يا شـاعـراً مـا جـمـعـتنى بهِ
كـواكبُ الليلِ وشـمسُ النهـارْ
لكنّه الشــــرقُ وفى حـــبِّهِ
ينأى بنا الشـــوقُ وتدنو الديارْ
سكبتَ من شــجـوكَ فى قلبــه
ومن مــآقــيكَ الدمــوع الغِزار
فــــودَّ أنْ لـو نِمْتَ فـى تربـهِ
ليـشـفىَ النفسَ بهـذا الجـوارْ

*   *   *

قــد راعنى مـوتُكَ ، يا شــاعـرى
فى ميـعـةِ العـمرِ وفـجـرِ الشبَابْ
وهزَّنى مــا فــاضَ من خـــاطرِ
كــانَ ينابيعَ البـيـــانِ العِذَابْ
ونفـــثـــاتُ القَلَمِ الســاحــرِ
فى جـوبكَ الأُفقَ وطىَّ الســحـابْ

ووقــــفــــةُ بالكوكبِ الحـــائرِ

رأى بســـــاطَ الريحِ يدنو فهَابْ

* * *

لـكنَّهُ شـــعـــــركَ لمَّا يَزَلْ

يُردِّدُ الـكونُ أناشــــيــــدَهُ

شِعــرٌ كَصــوْبِ الغــيثِ أنَّى نزلْ

أرقصَ فى الرَوْضِ أمـــاليــدَهُ

وعلَّم الطيـــرَ الهـــوى والغَزَل

فـــأســـمعَ الزهرَ أغـــاريدَهُ

وَغَنَّتِ الــريـــحُ بـــه فـــى الجَبَلْ

فــحــركتْ منهُ جـلامــيـدَهُ

* * *

يا قـــبـــرُ لم تُبْصِرْكَ عـــينى ولا

رأتك إلا فــى ثنايا الخـــيـــالْ

مـــلأتَ بالرَّوْعِ فـــؤاداً خـــلا

إلا من الحبِّ ونورِ الجـــمـــالْ

أوحـيتَ لى ســرَّ الردى فـانجلى

عن عـــينىَ الشكُّ وليلُ الضـــلالْ

غداً ستطوى القلبَ أيدى البلى
ويقنصُ النجمَ عقابُ الليالْ

* * *

وهكذا تمضى ليالى الحياهْ
والقبرُ مازالَ على حالهِ
دنيا من الوَهْمِ ودهرٌ تراه
يغَرُّرُ القلبَ بآمالهِ
يسخرُ من مبتسماتِ الشفاهْ
وجامدِ الدمعِ وسيَّالهِ
دهرٌ على العالمِ دارتْ رحاهُ
فلم تَدَعْ رسماً لأطلاله

٨ – شاعر مصر

فى رثاء حافظ إبراهيم

دَعَوْتَ خَيالى فاستجابتْ خواطرى
وحـــدَّثنى قلبى بأنكَ زائرى
عَشَيَّةَ أغرى بِى الدُّجى كلُّ صائحٍ
وكلُّ صدىً فى هَدْأةِ الليلِ عابرِ
أقولُ مَنِ السَّارى ؟ وأنتَ مُقَارِبى
وأهتفُ بالنَّجْوَى ، وأنتَ مُجاوِرى
أُحِسُّكَ مِلءَ الكونِ رُوحاً وخاطراً
كأنَّك مبعوثُ الليالِى الغوابرِ
ومثَّلَ لى سمْعى خُطاكَ ، فخِلْتُها
صَدَى نبأٍ من عالمِ الغَيْبِ صادرِ
سِوى خطراتٍ من بَنانٍ رفيقةٍ
طَرَقْتَ بها بابى فَهَبَّتْ سرائرى
عرفتُكَ ، لم أسمعْ لصوتِكَ نَبْأةً
وشِمْتُكَ ، لم يَلْمَحْ مُحَيَّاكَ ناظرى
أرى طَيْفَ معشوقٍ ، أرى روحَ عاشقٍ
أرى حلْمَ أجيالٍ ، أرى وجهَ شاعرِ

* * *

إِلَيْكَ ضِفافَ النيل ، يا روحَ حافظٍ ،
فَجدِّدْ بها عهدَ الأنيسِ المُسامِرِ
وساقِطْ جَنَاها من قوافيكَ سَلْسَلاً
رَخِيماً كأرْهامِ النَّدى المُتناثِرِ
سَرَتْ فيه أرواحُ النَّدامَى ، وصَفَّقَتْ
كؤوسٌ على ذِكْرِ الغريبِ المسافرِ
نَجِيٌّ الليالى القاهريَّاتِ : طُفْ بها
خَيَالَةَ ذكرى ، أو عُلاَلَةَ ذاكرِ
وجُزْ عالَمَ الأشباحِ ، فالليلُ شاخصٌ
إليكَ ، وأضواءُ النجومِ الزَّواهرِ
وطالِعْ سماءً فى مَعَارِجِ قُدْسِها
مَرِحْتَ بِوُجْدانٍ من الشِّعرِ طاهرِ
وسَلْسَلْتَ من أندائِها وشُعاعِها
جَنَى كَرْمَةَ لم تَحْوِها كفُّ عاصرِ
تَدَفَّقَ بالخمرِ الإلهىِّ كأسُها
فَغَرَّدَ بالإلْهَامِ كلُّ مُعاقِرِ
عَلَى النِّيل رُوحانيةٌ من صَفائِها
وَلألاءُ فجرٍ عن سَنَا الخُلْدِ سافرِ

فـصـافِحْ بعـينيكَ الدِّيارَ فطالما
مَدَدْتَ على آفـاقِهـا عـينَ طائرِ
وخُذ فى ضِفافِ النهر مَسْراكَ ، واتَّبِعْ
خُطَى الوحْيِ فى تلكَ الحقولِ النَّواضرِ
حـدائقُ فـرعَونٍ بدفَّاقِ نَهـرِها
وجَنَّتُهُ ذاتُ الجَنَى والأزَاهـرِ
وفى شُعَبِ الوادى ، وفـوقَ رمـالهِ
عِصِىُّ نبىٍّ ، أو تَهَاوِيلُ سـاحـرِ
صـوامعُ رُهْبـانٍ ، مَحـاريبُ سُجَّدٍ ،
هيـاكِلُ أربابٍ ، عـروشُ قـيـاصـرِ
سَرَى الشعرُ فى باحـاتها روحَ ناسكٍ
وترديدَ أنفـاسٍ ، ونَجْوَى ضـمـائرِ
وهمْسَ شِفـاهٍ تَشْمَلُ الروحُ عندَهُ
وتَسْبَحُ فى تِيـهٍ من السِّحْرِ غـامـرِ
هو الشعرُ ، إيقاعُ الحياةِ وشَدْوُها
وحُلْمُ صِبـاها فى الرَّبيعِ المُبـاكِرِ
وصـوتٌ بأسـرارِ الطبيـعـةِ ناطقٌ
ولكنَّه روحٌ ، وإبداعُ خـاطرِ

وونْبَةُ ذِهنٍ ، يَقْنِصُ البــرقَ طائراً
ويغــزو بروجَ النَّجْمِ غــيرَ مُحــاذِرِ
فــيــا دُرَّةً لم يحـوِها تاجُ قــيــصــرٍ
ولا انتظمتْ إلا مـــفـــارقَ شــاعِرِ
تألَّه فـيكِ القلبُ واسـتكبـرَ الحِجَى
على دَعَةٍ ، من تَحْتِــهــا روحُ ثائرِ
إذا اعترضَ الجبَّارُ ضَوءَكِ شامخاً
تَلقَّيتِهِ كـــبْراً ببَسْمَةِ ســـاخـــرِ
لَمَستِ حــديدَ القَيْدِ فــانحلَّ نظمُهُ
وأطلقتِ أســـرَى من براثِنِ آسِرِ
ومــا زِدْتِ فى الأحداثِ إلا صــلابةً
إذا النَّارُ نالتْ من كِرامِ الجــوَاهرِ
يزينُ بكِ الرَّاعى ســقــيــفــةَ كُوخِهِ
فــتــخــشَعُ حَيْرَى نيِّراتُ المقــاصــرِ
أضاعوكِ فى أرضِ الكنوزِ ، وما دَرَوْا
بــأنكِ كَنْزٌ ضَمَّ أغْلَى الذَّخـــــائرِ
وهُنتِ على مـــهــدِ الفنونِ ، وطالما
ســمــوتِ بسلطانٍ من الفنِّ قــاهرِ

إذا افــتــقــدَ التــاريخُ آثارَ أمَّةٍ
أشَرْتِ بما خلَّدتِهِ من مـــآثرِ

* * *

سَلاماً ، سَلاماً ، شاعرَ النيلِ : لم يزَلْ
خـيــالُكَ يَغْشَى كلَّ نادٍ وســامرِ
وشـعـرُكَ فى الأفـواهِ إنشــادُ أمـةٍ
تغنَّتْ بماضٍ واسـتـعـزَّتْ بحـاضرِ
وذِكْراكَ نَجْوى اليائسينَ ، إذا هَفَتْ
قلوبٌ ، وحـارتْ أدْمُعٌ فى المَحـاجرِ
يَدُلُّ عـلـيكَ الـقـلـبَ أنّاتُ بـائسٍ
ونظرةُ مــحْزونٍ ، وإطراقُ ســادرِ
ومـا أنتَ إلاَّ رائدٌ من جـمــاعـةٍ
تَوالَوا تِبـاعـاً بالنُّفـوسِ الحـرائرِ
صَحَتْ بادياتُ الشَّرْقِ تحتَ غُبـارِهِمْ
علـى شَدْوِ أقـــلامٍ ولـعِ بـواترِ
وفى القِمَمِ الشَّماءِ ، مِنْ صَرَخاتِهِم ،
صَدَى الرعدِ فى عَصْفِ الرياحِ الثَّوائرِ
يضـيـئـونَ فى أفْقِ الحـياةِ كـأنَّهمْ
على شَطِّهـا النَّائى منارةُ حــائرِ

فــيــا شــاعــراً غَنَّى فَرَقٌ لشَجْوِهِ
جَفاءُ اللَّيالى ، واعتِساف المقادِرِ

لَكَ الدهْرُ ، لا ، بل عالَمُ الحِسِّ والنُّهَى
خــمــيلةُ شــادٍ آخـذٍ بالمشَاعــرِ

فَنَمْ فى ظلالِ الشَّرْقِ ، واهنَأ بمضْجَعٍ
نَدِيٍّ بأنفــاسِ النَّبِيِّينَ عــاطِرِ

ووَسِّدْ ثـراهُ الـطُّهْرَ جَنْبَكَ وانـتَظِمْ
لِداتَكَ فــيــه ، فَهُوَ مَهْدُ العَبَاقِرِ

✍ ✍ ✍

٩ – شوقى

فى رثاء الشاعر أحمد شوقى

هَجَرَ الأرضَ حـينَ مَلَّ مـقـامـهْ
وطوى العـمـرَ حـيـرةً وسـآمـهْ
هَيْكلٌ من حـقـيـقـةٍ وخـيـالٍ
مَلَكَ الحبُّ و الجـمـالُ زمـامَه
ألْهَمَ الشـعـرُ أصـغـريهِ فـرقًا
فى فَمِ الدهرِ كـوثراً و مُدامـه
سلسـبيلٌ من حكمـةٍ و بيـانٍ
فَجَّرَ اللهُ منهـمـا إلهـامَه
تـأخـذُ القلبَ هَزةٌ من تسـا
قـيـهِ ، ويَنْسى بسـحـره آلامـه
غَمَرَ الأرضَ رحـمـةً وسَلامـاً
وجـلا الكونَ فـتنةً ووسـامـه
مـالنـا مِسْمعَ الوجـودِ نشـيـداً
عَلَّمَ الطيـرَ لحنَهُ وانسـجـامـهْ
مـالَهُ و الزمـانُ مـصـغٍ إليـه
رَدَّ أوتـارَه وحـطَّمَ جَامَهْ ؟

رُوِّعَ الطيرُ يومَ غابَ عن الأيْـــــ
ـــكِ وسالتْ جراحُها الملتامةْ
ما الذى شاقَهُ إلى عالمِ الرّوْ
حِ ؟ أجَلْ تلكَ روحُهُ المستهامةْ !
راعها النورُ وهيَ فى ظلمةِ الكـ
ـكونِ فخفَّتْ إليه تطوى ظلامةْ
هى بنتُ السماءِ وهو من
الأرض سليلٌ نما الترابُ عظامه
فاهتفوا باسمه فما ماتَ ، لكنْ
آثرَ اليومَ فى السماءِ مُقامةْ !

* * *

حدثّتنى الرياضُ عنهُ صَباحاً
ما لصدّاحِها جفا أنغامةْ ؟
وشكا لى النسيمُ أولَ يومٍ
لم يُحمِّلْهُ للحبيبِ سلامةْ
وتسمعتْ للغديرِ يُنادى
ما الذى عاقَ طيرَه وحيامةْ ؟
أتُراهُ ترشّفَ الفجرَ نوراً
ام شفى من نَدَى الصباحِ أُوامهْ

ورأيتُ الجمـــالَ فى شُعَبِ الوادى
ينادى بطاحَهُ و أكــــامــــهْ
صـارخـاً يسـتـجيـرُ شـاعرَهُ الشـ
ـــادى ، ويدعـــو لفنِّه رسَّامـــهْ
فَتَلَفَّتُ باكـــيــــاً وبعـــينى
شَبَحٌ تخطرُ المنونُ أمـــامـــهْ
هتفَ القلبُ بالمنادينَ حـــولى :
لَقِيَ الصـــادحُ الطروبُ حِمـــامـــهْ
فـــاذكـــروا شـدْوَهُ بكل صـــبـــاحٍ
وارقــــبــــوا من خَيَاله إلمامـــه
وامـلأوا الأرضَ والسـمـاءَ هُتافـاً
عَلَّهُ لم يَرَ الصـــبــــاحَ فنامـــهْ

* * *

لـم يرُعنِى مـن جـــانبِ النيلِ إلا
كـــرمـــةٌ فـــوقَهَا ترفُّ غَمَامـــة
تحت ســاجى ظلالـهـا زهرةٌ تبــ
ــكى ، وفى فَرْعِهَا تنوحُ حـمَامـة
عـرفُـتـهـا عـينى ، ومـا أنكرتهـا ،
من ظلامٍ و وحـشـةٍ و جَهَامـة

قلتُ يا كَرْمَةَ ابنِ هانى سَلامــــاً
ليسَ للمرءِ فى الحياةِ سلامة
نحنُ ، لو تعلمينَ ، أشباحُ ليلٍ
عــابرٍ يَنسخُ الضيــاءُ ظلامه
والذى تلمـحــينَ من لَهبِ الشـ
ـمسِ غداً يُطفىءُ الزمانَ ضرامه
والذى تبصرينَهُ من نجومٍ
فَلكٌ يرصدُ القضاءُ نظامه
عَبَثاً نُنشدُ الحياةَ خلوداً ،
ونرجِّى الصِّبا ، ونبغى دوامهْ
إنما الأرضُ قبرُنا الواسعُ الرحـ
ـبُ وفى جوفِهِ تطيبُ الإقامة
أودعَ القلبُ فيــهِ آلامَه الكـ
ـبدى ، وألقى ببابه أحلامه
نَسِىَ الناعمونَ فيه صباهُمْ
وسلا المغرمُ المشوقُ غرامهْ
فامسحى الدمعَ وابسمى للمنايا
إنَّ دنياكِ دمعةٌ وابتسامة ! !

* * *

أيهـــا المســـرحُ الحــزينُ عــزاءً

قـد فـقـدتَ الـغـداةَ أقـوى دِعـامـه

ذَهَبَ الشـاعـرُ الذى كنتَ تسـتـو

حى وتسـتلهـمُ الخلودَ كـلامـهْ

ولكَ اليـومَ همـةٌ فى شـبـابٍ

مـلأوا الـعـصـرَ قـوةً و همُامـهْ

نزلوا سـاحَهُ يشـيـدونَ للمـجـ

ـدِ وشـقُّوا إلى الحـيـاةِ زحـامـه

فـاذكـروا نهـضـةَ البـيـانِ بأرضٍ

أطلعتْ فى سـمـائهـا أعـلامـه

إنـهـــا أمـــةٌ تـغـــارُ على الفنِّ

وترعى عـهـودَه و ذمـامـهْ

لم تَزَلْ مصرُ كعبةَ الشعرِ فى الشر

قِ ، وفى كـفِّهـا لواءُ الزعـامـة

إنَّ يومـاً يفـوتُهـا السَبْقُ فـيـهِ

لهـوَ يومُ المعـادِ يومُ القـيـامـة ! !

✍ ✍ ✍

١٠ - سورية وعيد الجلاء

تحية استقلال سورية

ورثاء صبرى ابو علم

هنَّأتُ باسمكِ تحتَ الشمسِ أحرارا
يَنْدَى هـواكِ على هـامـاتـهمْ غـارا

دمَشْقُ ! يا بلدَ الأحـرارِ ، أىُّ فـتىً
لم يَمْتشقْ فيكِ سيفاً أو يَخُضْ نارا ؟ !

ذَوْدا عن الـوطنِ المعـبـودِ ، من دمِهِ
للمـجـدِ يبنيـهِ آطامـاً وأسـوارا

زَكَتْ « أمَيَّةُ » فى أعـراقـهِ وجـرتْ
دمـاً يُروِّى الثرى أو يغسلُ العـارا

عـيـدُ الجـلاءِ أسـمِّيـهِ وأعـرفـهُ
يومٌ تَبـارَكَ أنداءً وأسـحـارا

جـلا عن الشـرقِ ليلُ البغى حـينَ جـلا
عـروبةٌ فـيكِ تَلْقَى الأهل والدارا

لولا مـصـابٌ دهى الوادى فـشبَّ به
ناراً ، وهاجَ النسيمَ العذبَ إعصارا

ورَوَّعَ الأمــةَ الغلبـــاءَ فى رَجُلٍ
شــدَّتْهُ قــوســاً ، وسلَّتْ منه بتَّارا
من النوابغِ أعـمـاراً إذا قــصــرتْ
مـدَّ النبـوغُ لهم فى الخلدِ أعمـارا
أحـرارُ مملكةٍ فى الرأى مـا أثمـوا
سَمَّاهمــو الغــاصبُ الظَّلام ثُوَّارا
ثاروا على القيدِ حتى انحلَّ ، واقتحموا
على الطواغيت حِصْنَ الظلم فـانهـارا
... لولاهُ كـانَ إليكِ البـرقُ راحلتى
أطوى به الجــوَّ آفــاقــاً وأقطاراً
وجئتُ «فيحاءُ» أزجى الشعرَ مُفْتَقِداً
تحتَ الصـفـائحِ مـقـدامـاً ومـغـواراً
والمفتدونَ ، شُراةُ الخلد ، قُلْ لهمو
مـا ينظمُ المدحُ ألحـانـاً وأشـعـاراً !

✍ ✍ ✍

١١ – بطل الريف : عبد الكريم الخطابى

لا السـيفُ قَرَّ ولا المحـارِبُ عـاداَ
وسسَيْحَ البشيرِ ! بأىِّ سلْمٍ نادَى ؟
الأرضُ من أجسـادِ من قُتِلوا بهـا
تَجْنِى العـذابَ وتُنْبِتُ الأحـقـادا
فاضَ السحابُ لها دَماً – مُذْ شَيَّعتْ
شَمسَ النهـارِ – فـخـالطتْهُ سَوادا
رأتِ الحِدادَ به على أحـيـائهـا
أتُرَاهمـو صَبَغـوا السـمـاءَ حِدادا !
وَدَّ الطُّغـاة بكلِّ مَطْلَعِ كـوكبٍ
لو أطفـأوه وأسـقطوهُ رَمَادا
وتخـوَّفُوا وَمْضَ الشِّهـابِ إذا هَوَى
وَبُروقَ كلِّ غـمـامـةٍ تتـهـادَى
ولو انَّهم وَصَلُوا السـمـاءَ بعِلْمِهم
ضَرَبوا على آفـاقـهـا الأسْدَادَا
لـولا لـوامعُ مـن نُهـىً وَبصَائـرٍ
تَغْزُو كُهـوفـاً أو تَوَمُّ وهـادا

لـم يَرْقَ عَقْلٌ أو تَرِقَّ ســــــريرةٌ

وقـضـى الوجـودُ ضـلالةً وفـسـادا

راعَ الطُّغــاةَ شُعَاعُهُ فــتــســاءلوا

مَنْ نَصَّ هــذا الــكَوْكَبَ الــوَقَّادَا ؟

إِنْ تَجْهَلــوا فَســلُوا بــه آبــاءَكُم

أيَّامَ شَعَّ عــــــدالةً ورِغــــــادا

هــل أبـصــــــــروا حُرِّيَّةً إلا بــه

أو شــــيَّدوا لحـضـــارةٍ أوتادًا ؟

حَمَلَتْ سَنَاهُ لـهـم يَدٌ عـــــربيَّةٌ

تبنى الشــعــوبَ وتنسجُ الآبـادا

هــى أمَّةٌ بـالأمسِ شــــادتْ دَولـةً

لا تـعــرفُ العِبْدانَ والأســيـــادَا

جُرْتُمْ عليـــهـــا ظالمينَ بعَدكُم

وعَدِيدِكُم تتـــخـــايلونَ عتَادا

ومَنَعْتُمُــوها من مـواهبِ أرْضِهـا

مــاءً بهِ تَجــدُ الحـيــاةَ وَزَادا

فى المغربِ الأقصى فتىً من نورِها

قَدَحَتْ به كفُّ الســمـــاءِ زِنادا

سَلَّتْهُ سـيـفـاً كي يحــرِّرَ قَوْمَهُ

وَيُزِيلَ عن أوطانه اسـتـعـبـادَا

مــا بالكم ضِقْتُم به وحَشَدْتُمُو

من دونِهِ الأسـيـافَ والأجنادَا ؟

اشْعَلْتُمـوهـا ثـورةً دَمَوِيَّةً

لا تعـرفـونَ لنارِها إِخـمـاداً

حـتى إذا أوْهَى القـتـالُ جِلادَكم

ومـضـى أشَدَّ بسـالةً وجِلادَا

جـئْتُمْ إليـهِ تُهـادِنونَ سُيـوفَهُ

وسـيـوفُهُ لم تسكُنِ الأغـمـادَا

وكتبتمو عهداً - بحَدِّ سيوفكم -

مَزَّقْتُمُوهُ ولـم يـجِفَّ مِداداً

* * *

الأهلُ أهلُكَ ، يا أميرُ ، كمـا تَرَى

والـدّارُ دارُكَ قُبَّةً و عِمَادَا

أنَّى نَزَلتَ بمصـرَ أو جـاراتِهـا

جـئْتَ العُروبةَ أمَّةً وبِلادَا

مَدَّت يدَيْها و احْتَوَتْكَ بصدرها

أمٌّ يَضُمُّ حنانُهـا الأولادَا

ولو استطاعتْ رَدَّ ما استَوْدَعْتَها
رَدَّتْ عليكَ المَهْدَ و الميـــلادَا
وَأتتْكَ بالذِّكرِ الخـــوالدِ طاقــةً
كـأجَلِّ مــا جـمعَ المحبُّ وهادَى
مـاذا لَقِيتَ من الزَّمانِ بصخرةٍ
قـاسَيْتَ فـيـهـا غُرْبةً و وحادًا ؟
وَبَلوْتَ من صلَفِ الطُّغـاةِ وعَسْفِهِم
فـيـهـا الليـالى والسنينَ شِدَادًا ؟
جعلوا البحارَ ، ومثلُهُنَّ جبالُها ،
سَدًّا عليك وأوسـعـوك بعـادًا
دَعْهُم ! فـأنتَ سَخِرْت منَ أحلامـهمْ
وأطَرتَهُنَّ مـع الـريـاحِ بـدادًا
عشرينَ عاماً ، قد حَرَمْتَ عيونَهم
غُمْضَ الجفونِ ، فما عَرَفْنَ رُقادًا
يَتَلَفَّتُون وراءَ كلِّ جــــزيرةٍ
ويســـائلونَ الموجَ و الأطوادًا
من أىِّ وادٍ .. مــوجـةٌ هتـفَتْ به
ومضى ، فحمَّلَها السلامَ ، وعادًا

لو أنصــفـوا قَدَرُوا بطولةَ فــارسٍ
لبــلادِهِ بدَمِ الحُشــاشــةِ جــادَا
نادَى بأحــرارِ الرجــالِ فــقــرَّبوا
مُهَجــاً تموتُ وراءَه اســتــشــهــادا
يــدعـــــو لحقٍّ أو لإنـســــــانيَّةٍ
تأبى الســجـونَ وتَلْعَنُ الأصــفــادَا
شيخَ الفوارسِ حَسْبُ عَيْنِك أن ترى
هذى الفــتــوحَ وهذهِ الأمــجــادَا
« الرِّيفُ » هَبَّ منازلاً وقـــبــائلاً
يدعــو فــتــاهُ البــاسلَ الذَّوَّادَا
حَنَّ الحُسامُ لقَبضَتيْكَ ، وحَمْحمتْ
خـــيلٌ تُقَرِّبُ من يديكَ قِيـــادا
وعلى الصَّحارَى من صَدَاكَ مَلاحِمٌ
تُشْجِى النُّســورَ وتُطْرِبُ الآســادَا
أوْحَتْ إلى العُرْبِ الحُداءَ ، وألهمتْ
فُرســانهمْ تحت الوغى الإنشــادا
عــبدَ الكريمِ انظُرْ حيالكَ هل ترى
إلا صــراعــاً قــائمــاً وجــهــادا

الشـــرقُ أجْمَعـــهُ لواءٌ واحـــدٌ

نَظَـ مَ الصـــفـــوفَ وهيَّأ القُوَّادا

لم يتـركِ السـيفُ الجـوابَ لسـائلٍ

أو يَنْسَ من مُتَرَقِّبٍ مـــيـــعـــادا

سـالتْ حلوقُ الهـاتفـينَ دمـاً ، ومـا

هزُّوا لطاغـيـةِ الشـعـوبِ وِسـادَا

فـــصُغِ البــيــانَ بـهِ ، وأنْطِقْ حَدَّهُ

يَسْمَعْ إليكَ ، مُكَرَّراً ومُعـــادَا

كَذَبَتْ مـــودَّاتُ الشِّفــاه ولم أجــدْ

رغمَ الـعــداوةِ كـالســيــوفِ وِدادا

١٢ - الأمسية الحزينة

عند برزخ بين بحيرة المنزلة

وشاطئ البحر المتوسط

جــدَّدتِ ذاهبَ أحــلامى وليــلاتى
فَهَلْ لديكِ حديثٌ عن صبـاباتى ؟
يا كـعـبـةً لخيـالاتى ، وصـومـعـةً
رتَّلتُ فى ظلِّهــا للحــسنِ آياتـى
للحُبِّ أولُ أشـعـارٍ هـتـفتُ بهـا ،
وللجـمـالِ بهـا أولى رسـالاتى
عليكَ وادىَ أحـلامى وقـفتُ أرى
طيفَ الحوادثِ تمضى بعد مأساةِ
آوى إلى جَنَبَاتِ الصـخرِ منفـردا
أبكى لأمـسـيـةٍ مـرَّت وليـلاتِ
قــد غيَّرتنا الليـالى بَعْدَهَا سيَرا
وخلَّفـتنا العـوادى بعضَ أشتـاتِ
تلفَّتَ القلبُ فى ليـــلاءَ باردةٍ
يبكى ليـاليَكَ الغُرَّ المضـيئـاتِ

وذكــريـاتٍ من الماضـى يُطالعُهــا

بينَ الحـقـولِ وشُطآنِ البـحـيـرات

* * *

يا طولَ مــا نَغَّمَتْ للصَّخــرِ أناتى

وشــدٌ مــا رجَّعتْ للمــوجِ آهاتى

يا قلبُ ، وادى الصِّبا حالتْ مسارِحُهُ

وأقـفـرتْ من صـبـاياهُ الجـمـيـلاتِ

فــلا الجـداولُ تحـدوها مـسلسلةً

ولا الخـمـائلُ تهـفـو بـالنضـيـراتِ

صَوَّحنَ من مـشـرقِ الوادى لمغربِهِ

فـــمـــا بهنَّ مُطيفٌ من خـــيـــالاتِ

مـا فـى حيـاتِكَ من سلوى تلوذُ بـهـا

لكنهُ الحبُّ ذاكَ القـــاهرُ العـــاتى

قـد فـاجـأتْكَ غـواشيه التى سـكنتْ

إنَّ الليـــالىَ مـــلأى بالفُجـــاءاتِ

* * *

يا لَلْبُحــيــرةِ : من يرتـادُ شــاطئــهَا

ومن يُسِرُّ إلى الوادى مـنـاجــاتى ؟

ومن يعيدُ لنا أطيافَ ليلتها
وما غَنِمْنَا عليها من أويقاتِ
وخلوةٍ فى حَفَافيها وقد عَبَثَتْ
يَدُ الصبا بحواشيها الموشَّاةِ
يضمُّنا باسقٌ ، فى الشطِّ ، منفردٌ
ضَمَّ الشتيتَيْنِ فى علياءِ جناتِ
وللقلوبِ أحاديثٌ يجاوبُهَا
تناوحُ الطيرِ فى ظلِّ الخميلاتِ

* * *

يا ليلةً قد ذهلنا عن كواكبها
فى زورقٍ بين ضفَّاتٍ ولجَّاتِ
يسرى بنا مَوهِناً ، والريحُ تدفعهُ ،
كالنجمِ يسبحُ فى علوىِّ هالاتِ
وفى الشواطىءِ للمجدافِ أغنيةٌ
يَصبُّها الموجُ فى سحرىِّ موجاتِ
ما كانَ أهنأها دنيا ، وأهنأنا
فى ليلِها الصحْوِ، أوفى فجرها الشاتى

مَرَّت خيالاتُ ماضيها ، وما تَرَكَتْ

سوى وجومِ لياليها الحزيناتِ

ومن تَلَهَّفِ أحنائى وثارتِهَا

يا لَلْجَوَانحِ من وَجْدى وثاراتى

ياصرخةَ القلبِ ، هل أسمعتِ منك صَدَىً

مَنْ ذا يردُّ الصَّدى فى جوفِ موماةٍ ؟

جوبى مفاوزَ أيامى فقد صَفِرَتْ

من نبعِ ماءٍ ، ومن أظلالِ واحاتِ

قضى ، على ظمأ ، قلبى بها وفمى

وضلَّتِ العينُ فيها إثرَ غاياتى

حتى العواصفُ صمَّتْ عن نداءاتى

فما تردُّ على الأيامِ صيحاتى

* * *

يا من قتلتَ شبابى فى يفاعَتِهِ

ورحتَ تسخرُ مِنْ دمعى وأناتى

حرمتَ أيامىَ الأولى مفارحَها

فما نعمتُ بأوطارى ولذَّاتى

فَدَعْ فؤادىَ محزوناً يرفُّ على

ماضى ليالىَّ ، وانعمْ ، أنتَ ، بالآتى

دَعْنى على صخرةِ الماضى لعلَّ بها

مِنَ الصبابةِ والتحنانِ منجاتى !

✍ ✍ ✍

١٣ - إلى الطبيعة المصرية

لِمَ أنتِ ، أيَّتُها الطبيعةُ ، كالحزينةِ فى بلادى ؟
لولا أغــــاريدُ ترسَّلُ بينَ شـــــاديةٍ وشـــــادى
وخــيــالُ ثَوْرٍ حــولَ ســاقــيــهِ يُراوحُ أو يُغــادى
وقطيعُ ضأنٍ فى المروجِ الخضرِ يُضربُ بالهوادى
لحــســبتُ أنكِ جَنَّةٌ مــهــجــورةٌ من عــهــدِ عــادِ
هجـروكِ ، لا كنتِ العـقـيمَ ولَستِ مُنْجبَةَ القَتادِ
عـجـبـاً ومـاؤكِ دافقٌ ونجـومُ أرضكِ فى اتِّقـادِ
لو كنتِ فى الغـربِ الصَّناعِ لكنتِ قِبلةَ كلِّ هادى
وافـتنَّ فــيكِ الفنُّ بالروحِ المُحــرِّكِ للجــمــادِ
وتفــجَّرَ المَرحُ الحــبــيسُ بكلِّ ناحــيــةٍ ووادى
ولقلتُ أبتــدرُ الشُّداةَ غــداةَ فــجــرٍ أو تنادى
هذى الروائعُ فيكِ لم تُخْلَق لغـيركِ ، يا بلادى !

✍ ✍ ✍

١٤ – على النيل

من ابن الشمال إلى ابن الجنوب

أخى ! إنْ وردتَ النِّيلَ قبلَ ورودى
فحىِّ نِدامى عِنْدَهُ و عُهُودى

وَقَبِّلْ ثرىً فيه امتزجنا أُبُوَّةً
ونُسْلِمُهُ لابنٍ لنا وحفيدِ

أخى ! إنْ أذانَ الفجرِ لَبَّيتَ صوتَهُ
سَمِعْتَ لتكبيرى ووقْعِ سجودى

وما صُغْتَ قولاً أو هتفتَ بآيةٍ
خَلا مَنطقى من لَفْظِهَا وقصيدى

أخى ! إنْ حواكَ الصبحُ ريَّانَ مشرقاً
أفَقْتُ على يومٍ أغرَّ سعيدِ

أخى ! إنْ طواكَ الليلُ سهمانَ سادرا
نَبا فيه جنبى واستحالَ رقودى

أخى ! إنْ شربتَ الماءَ صفواً فقد زكتْ
خمائلُ جنَّاتى وطابَ حصيدى

أخى ! إنْ جفاكَ النهرُ أو جفَّ نبعُهُ
مشى الموتُ فى زهرى وقصَّفَ عودى

فكيفَ تُلاحـينى وألحـاكَ ؟ إننى
شهيدكَ فى هذا .. وأنتَ شهيدى !
حيـاتُكَ فى الوادى حيـاتى ، فـإنما
وُجـودُكَ فى هذى الحيـاةِ وجـودى

* * *

أخى ! إنْ نزلْتَ الشـاطِئَيْن فَسَلْهمـا
مَتى فَصَلَا مـا بيننا بحـدودِ ؟
رَمـانى نَذيرُ السُّوءِ فـيكَ بِنَبْأةٍ
فَجَلَّلَ بالأحـزانِ ليلةَ عـيـدى
وغـامتْ سمـائى بعدَ صَفْوٍ وأُخْرِسَتْ
مـزَاهرُ أحـلامى ومـاتَ نشـيـدى
غـداةَ تَمنَّى المسـتـبـدُّ فِراقنا
علـى أرضِ آبـاءٍ لنـا وجـدودِ
وزفَّ لنا زَيْفَ الأمـانى عُلالةً
لعلَّ بنا حُبَّ السـيـادةِ يُودى
أخـوَّتُنا فـوقَ الذى مـانَ وادَّعى
ومـا بيننا من سيِّـدٍ ومـسـودِ
إذا قالَ «الاستقلالُ» فاحْذَرْهُ ناصباً
فِخـاخَ «احـتـلالٍ» كـالدهورِ أبيـدِ

وكم قَبْلُ منَّانى ، على وَفْرِ ما جَنَى
بِحَرْبَيْنِ ، من زرعى وضَرْعِ وليدى
فلمـــا أتاهُ النصـــرُ هاجَتْهُ شِرَّةٌ
فــــهمَّ بنكرانى ورامَ جُحُودى
ألا سَلْهُ ، ماذا بَعْدَ سبعينَ حجَّةً
أأنجـزَ من وَعْدٍ ؟ أفكَّ قـيـودى ؟

✍ ✍ ✍

١٥ - القُبَّرة

عن الشاعر الانجليزى شلى

يا أيها الرُّوحُ يهفو حَوْلَهُ الفَرَحُ
تحيةٌ ، أيُّهذا الصادحُ المَرِحُ
من أمّةِ الطّيرِ هذا اللحنُ ما سمِعتْ
بمثله الأرضُ ، لا روضٌ ولا صَدَحُ
أنت الذى من سماءِ الرُّوحِ منهلُهُ
خمرٌ إلهيةٌ لم تَحْوِهَا قَدَحُ
يفيضُ قلبُك ألحاناً يُسلسِلُها
فنٌ طليقٌ من الوجدانِ منسرِحُ !

* * *

وعالياً ، عالياً ، لا زلتَ منطلقاً
عن الثرى ، تصِلُ الآفاقَ آمادا
مثلَ السحابةِ ، من نارٍ ، مُسَعَّرَةً ،
والبرقِ مؤتلقاً ، والنَّجمِ وقَّادا
يهفو جَنَاحاكَ فى أعماقِ زُرْقَتِها
وأنتَ تَضْرِبُ فى الآفاقِ مُرتاداً

تشـدو فَتُمْعِنُ فى أجـوازِهَا صُعُدا

فــإِنْ عَلَوْتَ بهــا أَمْعَنْتَ إنشــادا

* * *

ومــائجٍ ذَهبىٍّ النُّورِ قــد غــرقتْ

فى ذَوْبِهِ الشمسُ عَبْرَ العالمِ الثانى

تُوَهِّجُ السُّحبَ البـيـضــاءَ حُمْـرتُه

فَتَسْتَحــيلُ عليـــهــا ذاتَ ألوانِ

أشــعــةٌ ذاتُ أمــواجٍ غَدَوْتَ بهــا

تطفـو وترسبُ فى لُجيِّهـا القـانى

كــأنما أنت – جــذلاناً تـراوحنا –

روحٌ مـن الـطَّرب الـعلوىِّ نـورانـى

* * *

تذوبُ حــــولكَ إمَّا طِرْتَ فـى أفُقٍ

غلالةُ الأرجوانِ الشاحبِ الساجى

كنجمـةٍ فى سمـاءِ اللَّيلِ خـافـقـةٍ

تـذوبُ فـى فَلَقٍ لـلصـــــبحِ وهَّاجِ

يـا من تُطـرِّبـنى ألحـــــانُ غِبْطَتِهِ

ومــا رَأيتُ لَهُ طيــفــاً بمعــراجِ

ألاَ أراكَ فإنى سامعٌ نغماً
يهفو إلىَّ بإطرابٍ وإبهاجِ

* * *

وصاعداً فى مضاءِ السهمِ أرسلَهُ
قوسٌ من الكَوْكبِ الفضىِّ منزعهُ
ينأى فيخبو رويداً وهْجُ شُعْلَتهِ
حتى يُلاشَى كأنَّ الفجرَ يتبعهُ
ونرسلُ العينَ نرعاهُ هنا وهنا
وما يبينُ لنا من أيْنَ مطلعهُ
حتى إذا عزَّنا المرأى وأجهدنا
دلَّ الشعورُ على أنْ ذاكَ موضعهُ ! !

* * *

هذى السماءُ بموسيقاكَ مائجةٌ
والأرضُ يغمرُها من صوتكَ الطَرَبُ
وصفحةُ الليلِ أصفى ما يكونُ سوى
غمامةٍ خلَّفَتها وَحْدَهَا السُّحُبُ
وقد بدا القَمَرُ الوضَّاحُ يُمطرها
إرسالَ ضوءٍ على الآفاقِ يَنْسَكِبُ

يرمى السموات سيلٌ من أشعتِها
تكادُ تسبحُ فى طوفانِه الشُّهُبُ

* * *

من أنتَ ، يا من يجوبُ اللَّيلَ منفرداً
ولم تقعْ لى عليهِ بَعْدُ عينانِ ؟
أىُّ الخليقةِ قل لى أنتَ تشبهُهُ
وأيها منكَ فى أوصافِهِ دانى ؟
وهذه السُّحْبُ أصباغاً مُشَكَّلَةً
فى رائعٍ من فَريدِ اللَّونِ فتَّانِ
لا ينزلُ الغيثُ منها مثلما نزلتْ
شتَّى أغانيكَ فى سحرىٍّ ألحانِ !

* * *

كشاعرٍ فى سماءِ الفكرِ مُختبئٍ
دلَّ الوجودَ عليه لحنُه العالى
ألحانُ أغنيةٍ أمسى يُرتِّلُها
كمرسلٍ من نشيدِ الخُلْدِ سيَّالِ
أسلْنَ بالعالمِ السالى خوالجَهُ
حتى استحالَ شجوناً قلبُه الخالى

بعثْنَ من ألمٍ فيهِ ومن أمَلٍ
ما لم يكنْ منهُ فى يومٍ على بالِ

* * *

كأنَّ حوريةً فى ظلِّ شاهقةٍ
من البروجِ تقضِّى العيشَ فى خُلَسِ
لم يُغمضِ النومُ عينيها ولا خمدَتْ
نيرانُ قلبٍ لها فى فَحْمَةِ الغَلَسِ
باتتْ تلطِّف آلاماً تساورُها
فى عزلةٍ بنشيدٍ ساحرِ الجرسِ
تطوفُ ألحانُ موسيقاهُ مخدعها
كأنهُ الحبُّ فى إيقاعهِ السلِسِ

* * *

كأنَّ بين الربُّا التفَّتْ خمائلُها
فراشةٌ من سبيكِ التِّبرِ جَلواءُ
يا حسنَ أجنحةٍ منها مذهبةٍ
قد رقَّشتها مِنَ الأسحارِ أنداءُ
تُرِى السماءَ صفاءً فهى إنْ خطرتْ
فللسماءِ بهذا اللَّونِ إغراءُ

تجلو الأزاهرَ والأعشابَ طلعتُها

إذا بدتْ ولها فيهنَّ إخفاءُ

* * *

كزهرةِ الحقلِ فى غَيْناءِ سرْحتِها

لم يملأِ النورُ منْ أجفانِها حَدَقا

حتى إذا لَفَحَتْها الريحُ هاجرةً

زكتْ واربتْ على أملودِهَا ورْقا

وأرَّجَ الحقلَ من أنفاسِها عبقٌ

يشوقُ كلَّ جناحٍ نحوها خَفَقَا

تهفو إليها من الأنسامِ أجنحةٌ

منْ كلِّ مُنطلقٍ من عطرِهَا سَرَقا

* * *

ووقعُ لحنكَ فى الأسحارِ أرخمُ من

وقعِ النَّدَى فوقَ أعشابِ البساتينِ

قد نقَّط الزَّهَرَ المنضورَ سلسلهُ

وجادَ بالطلِّ أفوافَ الرياحينِ

يا منْ على صوتهِ فى الأفْقِ منسجماً

تصحو الأزاهرُ فى أفنانِها الغينِ

كلُّ البدائعِ مهما افتنَّ مبدعُها
لم تَعْدُ لحنَكَ فى صَوْغٍ وتلحينِ

* * *

قل لى : أمن مَلَكُوتِ الرُّوحِ منطلقٌ
أم طائرٌ أنتَ فى الآفاقِ هيمانُ ؟
أىُّ الخواطِرِ من حُسْنٍ ومن بَهَجٍ
يُشيعها منكَ فى الأرواحِ وجدانُ ؟
لم تشرئبَّ قلوبٌ من أضالعها
لغيرِ صَوْتِكَ أو تنصبُّ آذانُ
حديثُ حبٍّ وخمرٍ باتَ يسكبُهُ
من جانبِ اللّهِ أنغامٌ وألحانُ !

* * *

من أينَ تلك الأغانى أنتَ تُرسلُهَا ؟
من أىِّ مطَّرِدِ الينبوعِ مُنَسجِمٍ ؟
من أىِّ ثائرةِ الأمواجِ زاخرةٍ ؟
أىِّ السهولةِ والأغوارِ والقِمَمِ ؟
وأىِّ حبٍّ أليفٍ منكَ أو وطنٍ ؟
وأىِّ جهلٍ لما نلقاهُ من ألمٍ ؟

* * *

وفى منامكَ والآفاقُ حالمةٌ
وفى انتباهكَ والظلماءُ إصغاءُ
لابدَّ من نبأ للموتِ تعرفُهُ
وفى فؤادكَ عنهُ اليومَ أشياءُ
لأنْتَ أعمقُ فكراً فى حقائقهِ
مما نراهُ ونحنُ اليومَ أحياءُ
أو لا ! فكيفَ انسجامُ اللّحنِ مطّرداً
يُجريهِ من رائقِ البِلّورِ لألاءُ ! ؟

* * *

إنا نفكّرُ فى ماضٍ بلا أثرٍ
ومُقبلٍ من حياةٍ كلها غيبُ
ومستحلٍ نرجّى برقَ ديمَتِهِ
وكلُّ ما نرتجيهِ منهُ مختلبُ
وكم لنا ضحكاتٌ غيرُ صادقةٍ
ما لم يشبْ صفوَها التبريحُ والوصَبُ
وإنَّ أشهى الأغانى فى مسامعِنَا
ما سالَ وهو حزينُ اللحنِ ، مكتئبُ !

* * *

هَبْنَا على رَغْمِ هذا ليسَ يَجـمـعنَا
بالحـقـدِ أو كـبـرياءِ النَفْسِ أوهاقُ
فـلا القلوبُ لدى البـأسـاءِ جـازعـةٌ
ولا بـهنَّ إذا رُوِّعنَ إشـفـاقُ
وإننا قـد دَرَجْنا فى خَليـقـتِنَا
بـلا دمـوعٍ تذرِّيـهنَّ آمـاقُ
فكيفَ كنا إذاً نلقـاكَ فى فـرحٍ !
أو يغمر الروحَ لحنٌ منه رَقْرَاقُ ! ؟

* * *

يا أعذبَ الطيرِ موسيقى وأروعَهَا
من كلِّ رائقِ أنـغـامٍ وألحـانِ
ويا أعـزَّ لنا من كلِّ مـا جـمـعتْ
نفـائسُ الكُتْبِ من دُرىً تبـيـانِ
يا مـا أحقَّ اقـتـدارا منكَ قـدرتَهُ
بشـاعـرٍ لَبِقِ التـصـويرِ فنَّانِ
أنتَ المبـرَّأ فى حُبٍّ وعـاطفـةٍ
يا من تعـاليتَ عن أرضٍ وإنسـانِ

* * *

أمـــــا تُعلِّمنى مما يفـــــيضُ بهِ
غناؤكَ العَذْبُ تطراباً وتحنانا !
ذاكَ الحنونُ الذى يُهدى توافقهُ
إلىَّ من صَدَحَاتِ الخلدِ ألحانا !
ألستَ تُلهمنى وحياً يفيضُ به
فمى ، فَأملأُ قلبَ الكونِ إيمانا !
أشدو فيُلقى إلىَّ الكونُ مِسمعهُ
يُصغى إلىَّ كما أصغى لَكَ الآنا !

١٦ - الملاّح التّائه

أيهـــا الملاّحُ قمْ واطوِ الشرّاعـــا
لِمَ نـطوى لُجّةَ الـلّيلِ سِرَاعـــــــا
جَدِّفِ الآنَ بـــنـــا فـــى هِيـــنـــةٍ
وجـهـةَ الشـاطئ سـيـراً واتِّبـاعـا
فَغَداً ، يا صـــاحـــبى ، تأخُذُنا
مــوجـةُ الأيّام قــذفـاً واندفـاعـا
عَبَثـاً تقــفــو خُطى الماضى الذى
خِلْتَ أنَّ البــحـــرَ واراهُ ابتــلاعــا
لـم يكنْ غـــيـــرَ أويقــاتِ هوىً
وقــفتْ عن دوْرَةِ الدهرِ انقطاعـــا
فـــتَمَهّلْ ، تســـعـــدِ الرُّوحُ بما
وهِمَتْ ، أو تطربِ النفسُ ســمــاعـا
وَدَعِ الـلـيـلـةَ تمضـى ، إنـهـــــا
لـم تكنْ أولَ مـــا ولّى وَضَاعـــا
ســوفَ يبـدو الفــجــرُ فى آثارها
ثمَّ يمـــضـــى ، وَدَوَاليكَ تِبَاعـــا

هذهِ الأرضُ انتــــشتْ مما بهــــا

فَغَفَتْ تحلُم بالخلدِ خــــداعــــا

قــــد طَوَاها الليلُ حــــتى أوشكتْ

من عـمـيقِ الصمْتِ فـيه أنْ تُراعـا

إنَّهُ الـصــــــــمتُ الذى فى طيِّه

أسـفرَ المجـهولُ ، والمسـتورُ ذاعـا

سَمِعَتْ فــيــــه هُتــــافَ المنتــــهَى

من وراءِ الـغـيبِ يُقـريـهـا الوَدَاعـا

أيـهــا الأحــيــاءُ ، غنُّوا واطربَوا

وانهـبـوا من غَفَلاتِ الدَّهرِ سـاعـا

* * *

آهِ ، مــــا أروعَهــــا مـن لـيـلـةٍ

فاضَ فى أرجائها السحرُ ، وشاعا

نَفَخَ الـحـبُّ بـهــــــا مـن روحِهِ

ورَمَى عن سرِّهـا الـخـافى القناعـا

وَجَلا مـــن صُوَرِ الحُسْنِ لـــنـــا

عــبــقــرياً لَبِقَ الفنِّ صنَّاعــا

نفــحــاتُ رَقَصَ البــحــرُ لهــا

وهفَا النجمُ خُفـوقـاً والتـمـاعـا

وسرى من جانبِ الأرضِ صدىً

حَرَّكَ العُشْبَ حناناً واليَرَاعا

بَعَثَ الأحلامَ من هجعتِها

كسرايا الطَّيْرِ نُفِّرْنَ ارتياعا

قُمْنَ بالشاطىءِ من وادى الهوى

بنشيدِ الحبِّ يهتفنَ ابتداعا

أيها الهاجرُ عزَّ المُلتقى

وأذبتَ القلب صدا وامتناعا

أدركِ التائهَ فى بحرِ الهوى

قَبْلَ أنْ يقتلَهُ الموجُ صِراعا

وارعَ فى الدنيا طريداً شارداً

عنهُ ضاقتْ رقعةُ الأرضِ اتساعا

ضلَّ فى الليل سُراهُ ، ومَضَى

لا يَرى فى أفُقٍ منه شُعَاعا

يجتوى اللافِحَ من حَرْقتهِ

وعذابٍ يُشعلُ الرُّوحَ التياعا

والأسى الخالدَ من ماضٍ عَفَا

والهوى الثائرَ فى قلبٍ تداعى

فــاجــعلِ البــحــرَ أمــانــاً حــولَهُ

واملأ السـهلَ سـلاماً واليَفَاعـا[1]

وامـــــسـحِ الآنَ علـى آلامــــهِ

بيـدِ الرفقِ التى تمحـو الدَّمـاعـا[2]

وَقُدِ الــفُلْــكَ إلــى بَرِّ الــرِّضــى

وانشُرِ الحبَّ على الفُلْكِ شِراعــا

✍ ✍ ✍

---

(١) اليفاع : ما ارتفع من الأرض .

(٢) الدَّمَّاع : كثير الدمع .

١٧ - راكبة الدّراجة

تمَهّلى فـــراشـــةَ الصّبـــاحِ
أسْرَفْتِ فــى الــغُدوِّ والــرّوْاحِ
مـــاذا ارتيـــادُ الطُّرُقِ الفِســاحِ
والوثبُ فـــوقَ العُشْبِ والصفّاحِ
بـين الـرّوابـى الخُضْرِ والـبطـاحِ
بـالشّعَرِ المهــــدّلِ الســـبّاحِ
كـالموجِ تحتَ العـاصفِ المجـتـاحِ
والنهــــدِ وهـو مُطْلَقُ الســـراحِ
يخــفقُ بين الصــدرِ والوشـــاحِ
والســاقُ خَلْفَ الســاقِ فى كـفـاحِ
فى حَلْقَةٍ طاغـــيـــةِ الجـمـــاحِ
تدورُ مـــثلُ البـــارقِ اللمّاحِ
تــودُّ لــو طــارتْ مــع الــريـــاحِ
وحلُقَتْ فى كـــبـــدِ الصرّاحِ
بلطفِ هذا الجــســدِ المــراحِ
وخِفّةٍ فـى روحـكِ الصـــــداحِ

تكادُ تُغْنِى الطيـــــرَ عن جَنَاحِ !

يا لـهَواءٍ عـــابثٍ مـــفـــراحِ

سكرانَ ، لا من خـمـرةِ الأقـداحِ

بَلْ من صبِـاكِ ، والصِّبـا كـالرَّاحِ

يرفـعُ طرفَ الثــوبَ فى مـــزاحِ

لا يَسْتَحـــى مـــن لائـــمٍ ولاحـــى

✍ ✍ ✍

١٨ - على حاجز السفينة

- حَنَتْ على حاجزِ السفينة
ترنو إلى الرَّغْوِ والزُّبدْ
- كأنها الفتنةُ السجينة
تمضى بها لُجَّةُ الأبدْ
- نَبَتْ بها ضَجَّةُ المكانِ
يزَينها الصَّمْتُ والجلالُ
- والبحرُ من حولها أغانى
والسُّحْبُ والريحُ والجبالُ
- ساحرةٌ وحدها تُطِلُّ
بِمُلْتَقَى النورِ والظلامِ
- لا تسأمُ الصَّمْتَ أو تَمَلُّ
تَهامَس الشُّهْبِ والغمامِ
- تُصْغِى إلى الموجِ والرياحِ
فى مَعْزِلٍ شاقَ كلَّ عَينْ
- كأنها نجمةُ الصباحِ
مُطِلَّةٌ من سحابتينْ

● هفهافةُ الثوبِ فى بياضٍ
يكادُ عن روحها يشفُّ

● لأىِّ ذكرى وأىِّ ماضٍ
يَسْرى بها خاطرٌ ويَهفو ؟

● وما وراءَ العُباب تَبْغِى
وأىُّ سرٍّ لها تَبدَّى

● وأىُّ لحن إلِيه تُصغى
بروحها الحالمِ استبدَّ ؟

● عجبتُ للبحرِ ما عَرَاهُ
يودُّ لو مسَّ ناظريها

● يتاخمُ النَّجمَ فى علاهُ
ويَنثنى جاثياً لديها

● وهائمٍ فى الفضاءِ صَبٍّ
مُجنَّحٍ لا يَبينُ طيفا

● كم ودَّ لو - من ضَنَى وحُبٍّ
هَوَى على صَدرها وأغفى

● كم بثَّ من أنَّةٍ و ألْقَى
بهمْسةٍ ضائعٌ صداها

• ياوَيحـهُ لا يَحـيـرُ نُطقـا

فكيفَ تُلْقِى لـه انتـــبــــاهـا ؟

• أنفـــاسُهُ عن جَواهُ تُغْنِى

عليلةٌ خـــفْقُهـــا اضطرابُ

• كـــآهةٍ فـى فَمِ المُغَنّى

جـــريحـــةٍ لَحنُهــا العـــذابُ

• يدنو ، ويرتدُّ فى حــيــاءٍ

يُجـــاذبُ الثـــوبَ والشَّعَرْ

• وكلمـــا كلَّ من عــيــاءٍ

أثارهُ الوجـــدُ فـــاســتــعَر

• يضـمُّهـا راعشـاً ، ويمـضى

مُبـــاعـــداً ، وهو مـــا ابتـــعـــدْ

• كـأنَّهُ بالحنينِ يقــضى

لُبـــانةَ الرُّوحِ و الجَســــدْ

• والقـمـرُ الطالعُ الصـغـيرُ

أزاحَ عن وجـــهـــهِ السَّحـــابا

• وقـد جرى ضـوءه الـغـزيرُ

يســتــشــرفُ الأفقَ و العُبــابا

● المرحُ العــابثُ الطروبُ

لما دعــا باســمــهِ الشــروقُ

● نادتْ به مــوجــةٌ لعــوبُ

إلىَّ .. يا أيّهــــا المشـــــوقُ

● طالَ علــى المنْتَأى طُروقى

وطالَ مـــســـراكَ فى السَّمـــاءِ

● فَنَمْ على صـدرىَ الخـفـوقِ

واحلُمْ بمــا شئْتَ مــن هــنــاءِ

● وأنْسِنى وحـشــةَ الليــالى

بقُبْلةٍ منكَ ، يا حــبــيـــبى

● لكنَّهُ مـــرَّ لا يبـــالى

ولجَّ فى صـــمـــتــهِ العــجــيبِ

● مــذ أبْصَرَتْهُ انثنى ومــرَّا

قــالتْ ، ومن دمــعــهــا مَسِيلُ :

● لأنتَ مــثلُ الرجــالِ طُرَّا

يا أيُّهـــا الخـــائنُ الجـــمـــيلُ

● وهبـتُكَ الغضَّ من شـبـابى

سكرانَ من خــمــرِ أمــســيــاتى

- فـأينَ تمضى على العُبـابِ

من صَوْتِ حُبّى وذكـــــريـاتـى ؟

- ومن هـىَ الـغـــادةُ التى

تنسلُّ من مــخـدعـى إلِيــهـا

- أعندها مــثلُ فــتنتى

أم أننى أفْتَرِى عليـــهــــا ؟

- إذهبْ إِليـهـا ودعْ ندمـامى

فـــديتُكَ ، اسْلَمْ على التنائى

- إِذْبَحْ على صـدرها غـرامى

وامــلأ لهــا الكأسَ من شـقـائى

- والْهُ مع الغـيـدِ والعـذارى

وغــنَّ بــالــكــأسِ والــوتــرْ

- وانـقـعْ مـن الـغُلَّةِ الأوارا

واقـطف مـن الـلّذةِ الـثُمــــرْ

- أبوكَ ، والطبعُ لا يحــولُ ،

وَرِثْتَهُ خِلْقـــــةً و خَلْقـــــا

- يا أيهـــا القَلْبُ الملولُ

من قـــبـضـــتى لن تنالَ عِتْقــا

- مُطاردٌ أنتَ باشـتـيـاقـى

مــا جُبْتَ أرضــاً وجُزْتَ بحــرا

- مُقَيَّدٌ أنـتَ فـى وثــاقــى

وإنْ رآتْكَ الـعـــيـــونُ حُرّا

- لأنتَ مـهـمـا كَبُرتَ طِفْلِى

يا ابنَ الـهـــوى البكْرِ والألَمْ

- خُطاكَ مـسـبـوقـةٌ بظلّى

وإنْ تـعــلَّقْتَ بـــالــقِمَمْ

- سـأحـفظُ العَهدَ مِنْكَ دَوْما

وأقطَعُ الـعــمــرَ فى انتظارِكْ

- وسـوف تأوِى إلىَّ يومــا

تـبكى ، وأبْكى إلى جــوارِكْ

- ضـراعـةٌ من عـذابِ أنْثَى

مَشَتْ على المائجِ الـغـضـوبِ !

- صـغـا لـهـا الليلُ واستـحثَّا

ســـواكنَ الـريحِ لـلـهُبـــوبِ

- وحـدَّقتْ فـى الدُّجَى نجـومُ

غَيْرَى ، تـغــامــزنَ بالـخــبــرْ

● وغـمـغـمتْ نجـمـةٌ رؤومُ

أمــا يرى ضــوءَهُ القــمــرْ ! ؟

● أمــــا يرى ذلكَ الصَّبِيَّا

يُؤَلِّبُ البــحـــرَ والظلامـــا ؟

● فـــيــا لَهُ فــاتنا خَلِيًّا

يُزَوِّرُ العـــشقَ والغـــرامـــا !

● كم ليلةٍ بعــدَ الفِ ليلهْ

لم تَرْوِها عنه شـــهـــر زادُ

● وكـم عـنـاقٍ لـهُ وقُبْلـهْ

فى كِذْبةٍ لفظُهـــا مُعــادُ

● فاستوعبَ الضـوءُ ملءَ حسِّهِ

مــفــاتنَ الناسِ والطبــيـعــة

● مُردِّداً فى قــرارِ نفـسِهْ

مـا أبشعَ الغـيـرةَ الوضـيـعـة ؟

● وارتعشَ الضـوءُ ثم أضْفَى

من حـولِهِ الصـفـوَ والسَكينَة

● وابتــسـمتْ نفـسهُ فـألْفَى

خطاهُ فى جـــانبِ الســفــينَة

• فـراعَةُ ذلكَ الجـمـالُ
جـمـالُهـا الصامتُ الحـزينُ
• فشـاقَهُ الشِّعرُ و الخيالُ
وهـزَّهُ الوجـد والحنينُ
• فـقـالَ : يا روعـةَ المساءِ
وفِتنةَ اللُّبِّ و البـصـر
• قـد آذنَ الليلُ بانقـضـاءِ
وأنتِ مـوصـولةُ السـهـر
• أيتُهـا المَلْكَةُ الكسـيرةْ
أيتُهـا الربَّةُ الخـجـولَة
• أيتُهـا الطفلةُ الكبـيـرة
لن تَبْرَحى عـالَم الطفـولَةْ !
• أعلمُ مـا تكتـمـينَ عنِّى
وإنْ تلـثَّمْتِ بالخـفـاءِ
• خـمسُ ليـالٍ وأنتِ منى
مـتـبـوعـةُ الظلِّ باشـتـهـائى
• قـد كنتُ أزْهَى بما عـرفتُ
من فِتَنِ الحـسـنِ والدلالِ

• لكنّنى الليلةَ اكتشفتُ
أروعَ ما شِمْتُ من جمالِ
• عشقتُ فيكِ الهوى و ذُلّهْ
فى زَهْوَةِ الحسنِ والشبابِ
• وذلكَ الصمّتَ ، ما أجلّهْ
فى عالمِ اللّغْوِ والكِذابِ
• هاربةٌ أنتِ ، يا فتاتى
من ثورةِ الشكِّ والرِّيَب
• هَرَبْتِ من ضجّةِ الحَياةِ
فكيفَ من نفسكِ الهَرَبْ ؟ !
• بها ابدئى أولاً فسلّى
وردكِ من شوْكهِ الأثيمِ
• لا البُعْدُ يجدى و لا التسلّى
كطعْنكِ الغدْرِ فى الصميمِ
• منيهةٌ لم يَطُلْ مَداها
تروعُ بالصّمتِ و الشحوبِ
• لم يبلغِ الليلُ مُنتهاها
إلاّ على رَوْعَةِ المغيبِ

• والتـفتَ الضـوءُ للوداعِ
يهـــمسُ فى رِقَّةٍ و وجـــدِ
• يا ربَّةَ الحسنِ لا تُراعِى
فَلْتَرْعَكِ الكـائنـاتُ بعـــدى
• يا ليلُ ، يا مـوجُ ، يا رياحُ
أيتُهـــا السُّحْبُ و الظلالُ
• أيتـهـا الغُورُ و البِطاحُ
أيتـهـا الشـهبُ و الجـبـالُ
• فى الجوِّ ، فى الماءِ ، فى الثرى
صـونى لهـا العـهـدَ والودادا
• رُدِّى على عـينها الكرى
وابْعدِى الفِكْرَ و الســهـادا
• وأنقـذيهـا مِنَ الجـوى
يا عـاشـقـاتى على الزَّمـانِ !
• بكلٍّ مـا فـيكِ من قُوَى
وكلٍّ مـــا فىَّ من حنان ! !

✍ ✍ ✍

١٩ - إنتظار

طالَ انتظارُكَ فى الظلامِ ولم تَزَلْ
عـــيناىَ ترقبُ كلَّ طيفٍ عـــابرِ
ويطيــرُ ســمــعى صــوبَ كلِّ مُرِنَّةٍ
فى الأفقِ تخـفقُ عن جَناحىْ طائرِ
وترفُّ روحى فــوقَ أنفـــاسِ الرُّبا
فلعلَّهـــا نَفَسُ الحــبــيبِ الزائرِ
ويَخِفُّ قلبى إثرَ كلِّ شُعـــاعـــةٍ
فى الليلِ تومضُ عن شـهابٍ غـائرِ
فلعلَّ مـن لَمَحَاتِ ثغـــــركَ بـارقٌ
ولعلَّه وَضَحُ الجـبـينِ الناضــرِ
ليلٌ مـن الأوهـامِ طالَ سُهـــــادُه
بين الجوَى المضنى وهجسِ الخاطرِ
حـــتى إذا هَتَفَتْ بمقــدمِكَ المُنى
وأصــخْتُ أسـترعى انتباهةَ حـائرِ
وسَرى النسيمُ من الخمائلِ و الرُّبى
نشوانَ يعبقُ من شذاكَ العاطرِ

وترنَّم الوادى بسلسلِ مـــائِهِ

وتَلَتْ حمـائمُهُ نشيدَ الصـافرِ

وأطلَّتِ الأزهارُ من ورَقــاتهـــا

حيـرى تَعجَّبُ للربيعِ البـاكـرِ

وَجَرَى شُعَاعُ البَدْرِ حولَكَ راقصاً

طَرِباً على المرجِ النضــيـرِ الزاهرِ

وتجلتِ الدنيـــا كـــأبهجِ مـــا رأتْ

عـينٌ وصـوَّرها خـيـالُ الشـاعـرِ

ومـضتْ تُكذِّبنى الظنونُ فـــأنثنى

مُتـســمِّعــاً دقـاتِ قلبى الثـائرِ

أقْبلْتَ بالبـســماتِ تملأُ خـاطرى

سـحـراً وأملأُ من جمـالكَ ناظرى

وأظلَّنا الصــمتُ الرهيبُ ونحنُ فى

شكٍ من الدنيـــا وحلمٍ ســاحــرِ

حتى إذا حانَ الرحيلُ هتفتَ بى

فـوقـفتُ واستَبَقَتْ خُطاكَ نواظرى

وصــرختُ بالليلِ المودِّع باكـيـاً

ويداكَ تمسكُ بى وأنتَ مــغـــادرى

يا ليـــتنا لم نَصْحُ منكَ وليـــتَهـــا
مـــا أعـــجلتكَ رَحَى الزمـــانِ الدائرِ

* * *

ولقـد أتتْ بعـدُ الليـالى وانقـضتْ
وكـــأننا فـى الـدهـرِ لـم نتـــزاورِ
بُدِّلْتُ من عَطْفٍ لديكَ و رقـــةٍ
بحنينِ مـهـجـورٍ وقـسـوةِ هـاجـرِ
وكـــأننى مـــا كنتُ إِلفَكَ فى الصِّبَا
يومـاً ولا كنتَ الـحـيـاةَ مـشـاطرى
ونسـيتَ أنتَ ، ومـا نسـيتُ ، وإننى
لأعيشُ بالذكـرى .. لعلَّك ذاكرى !!

٢٠ - البحر والقمر

تَســاءَلَ الماءُ فــيكِ والشَّجــرُ
من أين يا « كـانُ » هذهِ الصُّوَرُ ؟

البــحــرُ والحــورُ فــيــهِ ســابحــةٌ
رُؤًى بــهـــا باتَ يَحْلُمُ الـقَمَرُ !

أطلَّ والــضــــوءُ راقصٌ غَزِلٌ
دعـــاهُ قلبٌ ، وشـــاقَهُ بَصَرُ

يــهــمسُ فــيــمــا يراهُ من فِتَنٍ
آلــهـــــةٌ هـؤلاءِ أم بَشَرُ ؟

يقــفــزُ من لجــةٍ إلى حــجَرٍ
كــــأنما مَسَّ روحَهُ الـضَّجَرُ

مــعـــريداً لا يريمُ ســـابحــةً
إلاّ ومنهُ بثــــغـــرها أثَرُ

من كلِّ حــوَّاءَ مــثلمــا خُلِقَتْ
يعــجبُ منهـــا الحــرير والوَبَرُ

أَلْقَتْهُ عنـهـــا رقـــائقــاً ونَضَتْ
جــســمــاً تَحَامَى نداءَهُ القَدَرُ

فى حــانةٍ مــا علَتْ بهــا عُمُدُ

ولا اســتــوى فى بنائهــا حَجَرُ

جُدرانهــا الماءُ ، والســمــاءُ لهــا

ســقــيــفــةٌ ، والنســائمُ السُتُرُ

خــمَّارُها مُنْشِدٌ ، وســامــرُها

حــورٌ تلوَّى ، وفــتــيــةٌ سكروا

لم تَبْقَ فى الشطِّ منهــمــو قَدَمٌ

قد خوَّضوا فى العباب وانتثروا

وشَيَّعوا العقلَ حينما شربوا

وَوَدَّعوا القلبَ حــيــثــمــا نظروا

والسابحاتُ الحسانُ حولهمو

كــأنهنَّ النجــومُ و الزُّهَرُ

يزيدُ ســيــقــانَهنَّ من بَهَجٍ

لونٌ عــجــيبُ الرُّواءِ مــبــتَكَرُ

يضىءُ ورداً وخــمــرةً وسنىً

ذوبٌ من المغــريات مُعْتَصَرُ

تغــــايـر الموجُ إذ طلعنَ به

وثارَ من حـــولهنَّ يشـــتَجِرُ

بـهـنَ يـلـتـفُّ مُرْتَقــىً وَيُرَى

ينشقُّ عنهنَّ فــيـــه مُنْحَدَرُ

منفــتــلات قــدودُهُنَّ كـمـــا

ينفــتل الغــصنُ آده الثــمــرُ

مُلَــوِّحــــــات بـأذْرُعٍ عَجَبٍ

تحــذرهنَّ النهــودُ و الشَّعــرُ

والضــوءُ فـوق الخُصـور منهـمـرُ

والماءُ تحت الصــدور مـســتـعــرُ

مـــازِلْنَ والبـــحـــر فى تَوَثُّبـــهِ

يُرْغِى كــــمـــا راع قَلْبَهُ خطرُ

قــد جــاوز الليلُ نِصْفَهُ فــمــتى

تؤمُّ فــيـــه أصــدافَهـــا الدُّرَرُ

فليـصـخبِ البـحــرُ ولتـئنَّ به

رمـــالُه ، وليـــثـــرثرِ الشـــجَرُ

ولتــعــصفِ الريحُ فـوق مـــائجــه

ولينبــجس من غــمـــامـــه المَطَرُ

أقــســمنَ لا ينتــحــين شـــاطئَهُ

وإنْ تَرامَى بمـائـه الشــــــررُ

حـــتى يُرَى وهو فـــضَةٌ ذَهَبٌ

تمازجَ الليلُ فـــيـــه والسَّحَرُ !

✍ ✍ ✍

٢١ - حلم ليلة

إذَا ارتقى البدرُ صفحةَ النهرِ
وضمَّنا فيهِ زورقٌ يجرى
وداعبتْ نَسمةٌ من العطرِ
على مُحيَّاكِ خُصْلَةَ الشَعرِ
حَسَوْتُها قبلةً من الجَمرِ
جُنَّ جُنونى لها وما أدرى
أىٌّ معانى الفتونِ والسِّحرِ
ثغرُك أوحى بها إلى ثغرى !
حلْمُ مساءٍ أتاحهُ دهرى
غَرَّدَ فيهِ الحبيسُ فى صدرى

✍ ✍ ✍

٢٢ - إعتراف

إِنْ أكُنْ قد شربتُ نَخْبَ كثيراتٍ وأترعتُ بالمدامة كأسى
وتَوَلَّعتُ بالحسانِ لأنّى مُغْرَمٌ بالجمالِ من كلِّ جنسِ
وتَوَحَّدتُ فى الهوى ثُمَّ أشركتُ على حالتىْ رجاءٍ ويأسِ
وتَبذَّلتُ فى غرامى فلم أحبِسْ على لذةٍ شياطينَ رِجْسى
فبِروُحِى أعيشُ فى عالمِ الفنِّ طليقاً والطهرُ يملأُ حِسِّى
تائهاً فى بحارِهِ لستُ أدرى ، لِمَ أزْجِى الشراعَ أو فيمَ أرْسى
لىَ قلبٌ كزهرةِ الحقلِ بيضاءَ نَمَتْها السماءُ من كلِّ قَبْسِ
هو قيثارتى عليها أغنِّى وعليها وَحْدِى أغَنِّى لنفسى
لِى إليها فى خَلْوَتِى همساتٌ أنْطَقَتْها بكلِّ رائعِ جَرْسِ

* * *

كم شفاهٍ بِهِنَّ من قُبُلاتى وهَجُ النّارِ فى عواصفَ خُرْسِ
ووسادٍ جَرَتْ بهِ عبراتى ضِحكُ يومى منه وإطراقُ أمسى
أيُّهذِى الخدورُ أنوارُكِ الحمراءُ كم أشْعَلَتْ ليالىَ أنسى
أحرقتهنَّ ! آهِ لم يَبْقَ منهنَّ سوى ذلكَ الرَّمادِ برأسى !

٢٣ - أندلسية

حسنُكِ النشـوانُ والكأسُ الرويَّةْ
جـدَّدا عـهـد شـبـابى فـسكَرْتُ
حلْمُ أيامٍ ولَيْلاتٍ وضـــــيَّةْ
عَبَرَتْ بى فى حـيـاتى وعـبـرتُ
أنا سكرانُ وفى الكأسِ بقــيَّةْ
أىُّ خمرٍ مَنْ جَنَى الخلد عصرتُ ؟
آهِ ، هـاتى قــــرِّبى الكأس إليَّهْ
واســقنيــهــا أنتِ ، يا أندلســيَّةْ

* * *

لا تقـــولى أىُّ صـــوتٍ مُلْهِمِ
قَادَ روحـينا ، فـجـئنا ، والتـقـيْنا
دَمُكِ المشـبـوبُ فـيــه من دمى
روحُ مـاضٍ بالهوى يهفـو إلينا
أخْتَ روحى ! قـرِّبيـهـا من فـمى
إنْ شَربنـا أو طربنا مــــا علينـا

آهِ هاتيـــهـــا من الحـــسنِ جَنِيَّة
واســـقْيــهـــا انتِ ، يا أندلســيَّة

* * *

كـــانتِ النظرةُ أولى نظرتينْ
ثُمَّ صـــارَتْ لفظةً مـــا بَيْنَنا
والهـوى يَعْجبُ مِنْ مـغـتـربَيْنْ
لم يَقُلْ أنتِ ، ولا قـــالتْ أنا
وَسَبــحْنا فــوقَ وادٍ من لُجــينْ
تَحْتَ أفقٍ من غـــمـــامٍ وسَنَى
أتملأها سِمـــاتِ عـــربيــــة
وأنادى أنتِ ، يا أندلســــيـــة

* * *

صِحْتُ يا للشَّمسِ فى ظلِّ المغيبِ
تــلـثـمُ الـزَّهْرَ وأوراقَ الـشَّجَرُ
خِلْتُهــا بين مــحبٍّ وحــبـيـبِ
قُبْلَةً عـــنـــدَ وداعٍ وَ سَفَرُ
فــانثنتْ تنظرُ للوادى العــجـيبِ
صُوَراً يَذْهَبْنَ فـــى إثْرِ صُوَر

ويسـمـعى همـسـةٌ منهـا شَجيـة

وبروحـى أنتِ ، يا أنـدلســـيـــة

* * *

ونـزلـنـا عِنْدَ شـطٍّ مـن نُضــــــارِ

وانتـحـينا خلوةً بعـد زحـام

قلتُ والليلُ بأعـقــابِ النهـارِ :

ألَكِ الليلةَ فى لحنٍ و جــامِ ؟

مــا علـى مــغـتــربىْ أهْلٍ ودارِ

إنْ أدارا ها هنا كـأس مـدامِ ؟

آهِ هـاتيــهـــا كـــخــدَّيكِ نقــيَّة

واسـقنيـهــا أنتِ ، يا أندلسـيَّة

* * *

واحــتـــوتنا بَيْنَ لَحنٍ مطربِ

حــانةٌ مِثلُ أســاطيـرِ الزَّمــانِ

صَوَّرتْ جـــــدرانُهـــا بِالذَّهـبِ

فِتَنَ العــشق وأهواءَ الحـســانِ

قــالتِ : اشــربْ قُلْتُ لبَّيكِ اشـربى

مِلءِ كـــأســين فـــإنَّا ظامــئـــانِ

خمرةً روميةٌ أو بابليّةْ

إسقنيها أنتِ ، يا أندلسيةْ

* * *

هتفتْ بى ويداها فى يدى

تدفعُ الكأسَ بإغراءٍ وعُجْبِ

أىُّ قيثارٍ شجىٍّ غَرِدِ

خلْتُهُ ينطقُ عَنْ أسرار قلبى !

قلتُ طِفلٌ من قديمِ الأبدِ

يمزُجُ الألحانَ مِن خَمْرٍ وحُبٍّ

ملء كأسٍ فى يديهِ ذهبيّةْ

فاسقنيها أنتِ ، يا أندلسيّةْ

* * *

ومضى الليلُ ونادى بالرواحِ

كلُّ خالٍ وتعايا كلُّ صَبٍّ

وخبا المصباحُ إلاّ كأسَ راحِ

نورهُ ما بين إيماضٍ ووثبِ

قد تحدّى وهْجُهُ ضوءَ الصباحِ

فَبَقَيْنا حولهُ جَنْبــاً لِجَنْبِ

نتســاقــاها على الفــجــرِ نديَّةْ
وأغنّى أنـت ، يا أندلـســــــيَّةْ

* * *

يا عــروسَ الغــربِ ، يا أندلســيَّةْ
بَعُدَتْ داركِ و الـصـــــيفُ دنـا
أينَ أحــلامُ اللَّيـــالى القَمــرِيَّةْ
والبــحــيــراتُ مُطيــفــاتٌ بِنا ؟
أذكـــرى بينَ الكؤوسِ الذَّهبـــيَّةْ
حــانةٌ ، يا ليــتــهــا دامَتْ لَنَا
حين أدعـوكِ صـبـاحـاً وعـشـيَّةْ
إســقنيــهــا أنتِ ، يا أندلســيَّةْ

٢٤ - فلسفة وخيال

نُهْزَةٌ أهْدَتِ الخـيـالَ إلينا
ودعَتْنا لموعـدٍ فـالتـقـينا
هـهنا تحتَ ظُلَّةِ الغـابةِ الشـجـرا
ءِ سِرْنا ، والفـجـرُ يحنو علينا
وقَطَفْنـا مـن زَهْرِهـا ، وانـثـنـيْنا
فَجَنَيْنا تُفَّاحـهـا بيـدينا
ومَرِحْنا بهـا سـحـابةَ يومٍ
وبأشـجـارها نقـشْنا اسـمـينا

* * *

هـهنا يا ابنةَ البـحـيـراتِ والأوديةِ الخُضْرِ والرُّبَى والجـبـالِ
صَدَحَ الحبُّ بالنشـيـد فلبَّينا نداءَ الهـوى وصـوتَ الخـيـالِ
وتَبِعْنا على خُطَى الفجرِ موسيقى من العُشْبِ والندَى والظلالِ
وسـمـعنا حـفـيفَ أجنحـةٍ تهـفـو بهـا الريحُ من كـهـوفِ الليـالى

* * *

قُلْتِ لى والحـيـاءُ يَصْبُغُ خـدَّيْكِ : أنارٌ تمشى بهـا أمْ دمـاءُ ؟
مِلءُ عينيكَ ، يا فتى الشرقِ ، أحلامٌ سكَارى وصـبوةٌ واشـتـهـاءُ

وعلى ثغـرِكَ المشـوقِ ابتسـامُ

ضَرَّجَتْهُ الأشـواقُ والأهـواءُ

أوَ حـقـاً دُنيـاكَ زهرٌ وخـمـرٌ

وغـوانٍ فـواتـنٌ وَ غنـاءُ ؟

* * *

قُلْتُ : يا فـتنةَ الصِّبـا حَفِلَتْ دنيـاكِ بالحبِّ والْمُنَى والأغـانى

مـا أثارتْ حـرارةَ الجَسَدِ المشـتـاقِ إلاَّ مـرارةُ الحـرمـانِ

إنَّ أجـسـادنا مـعـابرُ أرواحٍ إلى كلِّ رائعٍ فـتَّانِ

أنا أهوى روحـيَّةَ العـالم المنظورِ لكنْ بالجسمِ والوجـدانِ

* * *

مـا تكونُ الحـياةُ لو أنكرَ الأحـياءُ فـيـها طبائعَ الأشـيـاءِ !

أنا أهواكِ كـالفـراشـةِ صـاغـتـها زهورُ الثرى وكفُّ الضـيـاءِ

أنا أهـواكِ فِتْنَةً صـاغـهـا المثَّالُ من طينةٍ ومن إغـراءِ

أنا أهـواكِ بدْعـةَ الخلد صِيـغَتْ من هَوَى آدمٍ ومن حـوَّاءِ

* * *

أنـا أهـواكِ مـن أثـامٍ وَطُهْرٍ

حلْمَ إغْفـاءَتى وصَحْوَ غـرامى

أنا أهواكَ تُبْدعــينَ يقــينى من نســيجِ الظُّنونِ والأوهامِ

أنا أهواكِ دِفْءَ قلبى ويَنْبُوعَ اشــتــهــائى ، وشِرتى ، وغُرامى

وحنانــاً مُجــــسدًّا إنْ طوانــى الليلُ وسدَّتْ صَدْرَهُ الآمــى

* * *

يا لَلطريقِ الضــيِّقِ الصَّاعـــدِ بين ربوتينْ

كــأنما خُطَّ على قَدْرِ خُطَىً لعــاشــقــينْ

الشَّجَراتُ حـــولهُ كـــأنهـــا أهدابُ عَيْنْ

كــعــهـدِهِ بصــاحبِ الدَّارِ ظليلَ الجــانبـينْ

نَبَّأهُ الـــصَّدَى المــرنُّ عــن قُدومِ زائــريـــنْ

فى فــجــرِ يومٍ مــاطرٍ شَقَّ حــجــابَ ديمــتــينْ

كـــأنما يَنْزِلُ مــنــهُ الــوحــىُ حَبَّاتِ لجـــينْ

فــانتــبــهتْ خــمــيلةٌ تهــزُّ عُشَّ طائرينْ

وشــاعَ فى الـغــابةِ هَمْسٌ من شــفــاهِ زهـرتين

مَنِ الـغــريبــانِ هُنا ؟ ومــا سُراهمــا ، وأينْ ! ؟

مــاذا قــدومــهُمــا والغــيثُ مِدرارُ

لا صـــاحبُ الدَّارِ طلأّعٌ ولا الدَّارُ

هذى البـحيرةُ وَسْنَى ، حلْمُ ليلتـهـا

لمَّا تُفِقْ منهُ شطئـــانٌ وأغـــوارُ

والأرضُ تحتَ سحابِ الماءِ أخيلةٌ

مما يُصوِّرهُ عُشْبٌ ونُوَّارُ

والصبحُ فى مهدِهِ الشرقىِّ ما رُفِعَتْ

عن وَرْدِهِ من نسيجِ الغَيْمِ أستارُ

حتَّى الجبالُ فما لاحتْ لها قِممٌ

ولا شدا لرُعاةِ الضأنِ مزمارُ

فمنْ هما القادمانِ ؟ الريحُ صاغيةٌ

لوَقْعِ خطوِهما والأرضُ أبصارُ !

أعادَ منْ زَمَنِ الأشباحِ سامرَهُ

فالليلُ والغابُ أشباحٌ وأسْمارُ ؟

أمِ البحيرةُ جِنّياتُها طلعتْ

فهبَّ موجٌ يناديها وتيَّارُ !

أمْ راصداً كوكبٍ ضلاَّ سبيلهما

لمَّا خَبَتْ من نجومِ الليْلِ أنوارُ

أمْ صاحبا سَفَرٍ مالَ الضَّنَى بهما

حَوَتْهما جَنَّةٌ للفنِّ مِعْطارُ

أم عاشقانِ تُرَى ؟ أم زائرانِ هما ؟

وهل مَعَ الفجرِ عُشَّاقٌ وزوَّارُ ؟ !

وأمسكَ الغيثُ كما لو كانَ يُصغى مثلَنَا
واعتنقتْ حتى وُرَيْقاتُ الغصونِ حولَنَا
كأنما تخشى النسيمَ أو تخاف الغُصُنَا
وانبعثَ اللحنُ الشجىُّ من هنا ومن هنا
يثورُ فى إيقاعِه قيثارةً وأرْغُنَا
كأنَّ جِناً فى السماءِ يُشْعلونَ الفتنَا
كأنَّ أرباباً بها يُحاكمونَ الزَّمَنَا
يا صاحبَ الإيقاعِ ما تعرفُ ما هجْتَ بنَا
ألفجرُ ؟ أم ثارتْ على الشمس بوارقُ السَّنى ؟
مَالَكَ قد غنَّيتَهُ هذا النشيدَ المحزنَا
غَنَّيْتَهُ آلهةً أمْ أنتَ غنَّيتَ لنا ؟

ما ذلكَ الصوتُ شاجى اللحنِ سَحَّارُ
يُجْرِيهِ نبعٌ من الإلهامِ زَخَّارُ
فيه تَنَفُّسُ فوقَ السُّحبِ آلهةٌ
وآدميونَ فوقَ الأرضِ ثُوَّارُ
له مذاقٌ ، له لونٌ ، له أرَجٌ
خَمْرٌ أباريقُها شتَّى وأثمارُ
أشتفُّهُ وأنادى كلَّ ناحيةٍ
مَنِ المُغَنِّى وراءَ الغابِ ، يا دارُ ؟

السمفونيَّةُ هذى ! أم صدى حُلُمٍ
كما تَجاوبُ خلفَ الليلِ أطيارُ !
أعادَ للمِعْزَفِ المهجورِ صاحبُهُ
فعربدتْ فى يديهِ منهُ أوتارُ !
أظَلُّ أصْغى وما من شُرْفةٍ فُتِحَتْ
ولا أزاحَ رِتاجَ البابِ ديَّارُ
حتى الحديقةُ لَفَّتْ كوخَ حارسها
بصمتها ، فهما نَبْتٌ وأحجارُ
تواضعتْ بجلال الفنِّ ما ارتفعتْ
مثلَ البروجِ لها فى الجوِّ أسْوارُ
تُصْغى إِلى هَمَسَاتِ الريحِ شيِّقةً
كأنما همساتُ الريحِ أخبارُ !
هنيهةً ، ثمَّ سمعنا هاتفاً مردِّدَا
يقولُ : قُمْ « يا سِجْفريدُ » ، فالصَّباحُ قد بدا
عرائسُ الوادى ألَمْ تضربْ لهنَّ موعدا ؟
ماذا ! قُمِ انفضِ الكَرَى ، ونَمْ كما شئتَ غدا
واخطرْ على الغابةِ منضورَ الصِّبا مُخلَّدا
خُذْ سيفكَ السحرىَّ صِيغَ جوهراً وعسجدا

قـــد لَقِيَ التنِّينُ منه فى العــــشـــيّةِ الرَّدَى
صـــــوتٌ مـعَ الريـحِ سَرَى .. ، وللسكونِ أخلدا
فـأمْسَكَتْ صــاحـبـتى يدى وحــاطتْ بى يدا
تقـولُ : لم أسـمـعْ كـهـذا اللحن أو هـذا الصَّدَى
قـلـتُ : ولا بمـثلـهِ شـــــادٍ علـى الدهـرِ شَدَا
قــد باحَ بالنَّغَمِ الموعـودِ قـيـثـارُ
فـالفـجـرُ أحـلامُ عُشَّاقٍ وأسـرارُ
صــــحـــــا يُفَصِّلُ رؤياهُ ويَعْبُرها
موجٌ على الشاطىء الصخرىِّ ثرثارُ
وزحزحتْ وَرَقَ الصفصافِ حانيةً
على البُحـيـرة أعـشـابٌ وأزهارُ
تُسـائلُ الماءَ : هل غَنَّتْهُ أو عَبـرتْ
شُهْبٌ بِهِ مـسـتـحـمـاتٌ وأقـمـارُ ؟
يا صاحبَ اللحنِ إنَّ الغابَ مُصْغيةٌ
فأينَ من « سيجفريدَ » السيفُ والغارُ ؟
مـا زالَ فوقَ ندىً العشبِ مضجعُهُ
وَمِنْ يديه على الأغــصـــانِ آثارُ
هذا النشيدُ ، نشيدُ الحبِّ ، تَعزِفُهُ
له عــــرائسُ ، مِثْلُ الوردِ ، أبكارُ

بَعَثْتـــهنَّ من الأنغـــام أجنحـــةً

هـزيـزهـنَّ مَعَ الأفـــــــلاكِ دوَّارُ

فى صـــدرِ قـيـثـارةٍ أودعْتَهُ نَغَمـاً

مِزاجُهُ الماءُ والإِعـــصــــارُ والنارُ

تُفْضِي بما شئْتَ من أسرارِ عالمها

فـــيـــهِ ليـــالٍ ، وأيامٌ ، وأقـــدارُ

حـتى الطبـيـعـةُ من ناسٍ وآلـهـةٍ

تمازجتْ فـهىَ ألحانٌ وأشـعـارٌ !

✍ ✍ ✍

٢٥ - اللّه والشاعر

● لا تفـــزعي ، يا أرضُ ، لا تَفْرقي
مـن شَبَحٍ تحتَ الـدُّجى عـــــابرِ
مـــــا هـوَ إلاَّ آدمـيٌّ شـــــقِي
ســــمَّوْهُ بين الـنـاسِ بالـشــــاعــــرِ

● حنانَكِ الآن ، فـــلا تُنكري
ســبــيلَهُ في ليلكِ الـعـــابسِ
ولا تُضـلِّيـــــهِ ، ولا تـنْفــــــري
مِنْ ذلكَ المســـتــصــرخِ البـــائسِ

● مُـدِّي لعـينيـهِ الـرِّحـابَ الفِسـاح
ورقـــرقي الأضـــواءَ في جـــفنهِ
وأمـــسكي ، يا أرضُ ، عـــصْفَ الرياحْ
والـرَّاعـــــدَ المُنصـبَّ فـي أذنــهِ

● أنـتِ لــهُ ، يـــا أرضُ ، أمٌّ رؤوم
فـــأشْهــــدِي الكونَ علـى شِقْوَتِهْ
وردِّدي شـكـواهُ بـينَ الـنجـــــومْ
فـــهـــوَ ابنُكِ الإنســـانُ فـي حَيْرتِهْ

• مــــا هـوَ إلاّ صـــوتُكِ المُرْسَلُ
ورروحُكِ المسـتـعـبَدُ المُرْهَقُ
قــد آدَهُ الـدهـرُ بمـا يَحـمِلُ
فــجــاءَ عنْ آلامـِهِ يَنطِقُ ؟

• طغَى الأسى الدّاوي على صـوتِهِ
يـا لـلصَدَى مـن قلبـِهِ النّاطقِ
مــضـى يبثُّ الدهـرَ فـي خـفْتِهِ
شـكـايـةَ الخَلْقِ إلـى الخـالـقِ

• حـنانكَ اللـهمَّ ، لا تـغـضـبِ
أنتَ الجـمـيلُ الصـفحِ ، جمُّ الحنانْ
مــا كـنتُ فـي شكوايَ بـالمذنـبِ
ومـنكَ ، يـاربِّ ، أخـذتُ الأمـانْ

• مـا أنا بالزاري ولا الحـاقـدِ
لكنني الشّاكي شـقـاءَ البـشَرْ
أفنيتُ عـمـري في الأسى الخـالدِ
فـجـئتُ أسـتـوحـيكَ لُطْفَ القـدَرْ

• تمـرّدتْ روحـي عـلـى هـيكـلـي
وهـيكلُ الجـسمِ كــما تعلمُ

ذاكَ الضعيفُ الرأيِ لم يفعلِ
إلاَّ بما يوحي إليهِ الدمُ !

● يَعرُقُ حدُّ السّيْفِ من لحمهِ
ويحطمُ الصّفْوانُ بنيانَهُ
وينخرُ الجرثومُ في عظمهِ
ومنهُ يُنْمي القبرُ ديدانَهُ !

● ما هوَ إلاّ كومةٌ من هباءْ
تمحقهُ اللمسةُ من غَضبتِكْ
فكيفَ يثني الروحَ عما تَشاءْ ؟
وكيف يقوي ؟ وَهْيَ من قدرتِكْ ؟

● يا للشقيِّ القلب كمْ سامَهُ
توهُّم النعمةِ ما لا يُطيقْ
يُريدُ أنْ يُقنعَ أوهامَهُ
بأنّهُ ذاكَ الخليُّ الطليقُ

● هأنذا أرفعُ آلامَهُ
إلى سماءِ المنقذِ الأعظمِ
أنا الذي تُرسلُ أنغامَهُ
قيثارةُ القلب ، وناي الفمِ

• من عبـراتي صُغتُ هذا المقالْ
ومن لهـيبِ الروحِ هذا القَلَمْ
مـلأتُ منهُ صفحاتِ الليالْ
فَضُمِّنَتْ كلُّ معاني الألمْ

• أنا الذي قدَّسْتَ أحزانَهُ
الشّاعرُ الباكي شقاءَ البشَرْ
فَجُرْتَ بالرحمةِ ألحانَهُ
فاملأ بها ، ياربِّ ، قلبَ القدَرْ !

• ما الشاعرُ الفنَّانُ في كونهِ
إلاَّ يدُ الرحمةِ من ربِّهِ
مُعَزِّيَ العالمِ في حزنهِ
وحاملُ الآلامِ عنْ قلبهِ

• عزاؤهُ شعرٌ بهِ أهْزَجُ
في نَغَمٍ مستعذَبٍ ساحرِ
ما يَحْزَنُ العالَمُ أو يُبهجُ
إلاَّ على قيثارةِ الشاعرِ

• ياربِّ ، ما أشقيتني في الوجود
إلاَّ بقلبي : ليتهُ لم يَكُنْ

فــي المــثــل الأعــلــى وحُبِّ الخــلــودْ
حــــمَّلتـــــهُ العبءَ الذي لم يَهُنْ

• خلقـتــهُ قلبــاً رقــيقَ الشّغَافْ
يهـــــيمُ بالنورِ ويَهْوى الجــــمـــــالْ
حلّتْ لَهُ الـنجــــــوى ولـذَّ الـطـواف
بعـــالـمِ الحـــسنِ ودنيــا الخـــيـــالْ

• بَعَثْتَهُ طيــراً خـــفــوقَ الجناحْ
عـلــى جِنـانٍ ذاتِ ظـلٍّ ومــــــاءْ
أطلقـــتــهُ فـــيــهــا قُبَيْلَ الصــبــاحْ
وقلتَ : غنِّ الأرضَ لحنَ الســـمـــاءْ

• فــهـامَ في آفـاقـهـا الواسِعَة
الـنُّورُ يـهـــــفـــــو حـــــولَهُ والـنَّدَى
مُصـــــفِّقـــاً للضَّحْوَةِ الســـاطعَةْ
ومُنشِداً مـــا شـــاءَ أنْ يُنشــــدا

• إنْ جــاءَ صــيفٌ أو تجلّى ربيعْ
حــــيَّاهُ منهُ عـــبـــقـــريُّ الغِناءْ
وكم خــــريفٍ في نشـــيـــدٍ بديعْ
تظلُّ تَرويهِ ليــــالي الشــــتـــاءْ

● قيثارةٌ تصدرُ في فنِّها
عن عالمِ السِّحرِ ودنيا الخفاءْ
على الصَّدَى الحائرِ من لحنِها
يستيقظُ الفجرُ ويغفو المساءْ

● مَشتْ على الأمواجِ أنغامُها
والأرضُ قَيْدُ النشوةِ المسكِرة
كأنَّما ترقُص أحلامُها
في ليلةٍ شرقيةٍ مُقمرة !

● من قلبه أسلَمْتَ أوتارَها
فقلبُهُ يخفقُ في كفِّهِ
يشدو فتُملي النفسُ أسرارَها
عليه ، فهيَ اللحنُ من عزفِهِ

● ذاتَ صباحٍ طارَ لا يُمْهِلُ
والأرضُ سَكرى من عبيرِ الزهورْ
على حصاها رنَّمَ الجدولُ
وفي روابيها تُغنِّي الطيورْ

● ما كانَ يدري قبلَ أن ينظُراَ
ما خَبأتْهُ النظرةُ العاجلة

مـــــا أبدعَ الحلمَ الذي صـــــوَّرَا
لوْ لَمْ تَشُبْهُ اليــــقْظَةُ القـــــاتلة !

- مـرَّ بنهـرٍ دافـقٍ سلسـبيلْ
تهـفـو القـمَاري(١) حــولَهُ شـــاديَهْ
في ضـفـتـيـهِ باسـقـاتُ النخـيلْ
ترعى الشـــيـــاهُ تحـــتَهـــا ثاغيَة

- فــهــاجـتِ النظـرةُ ممــا رأى
في قلبـــهِ الســـحــرَ وفي عـــينهِ
الكونُ يبـــدو وادعـــاً هـانئـــاً
كــــأنهُ الفـــــردوسُ في أمـنـهِ

- فظلَّ في التـفكيـر مسـتـغـرقـاً
من فـتنةِ الدنيـا وَمِنْ ســحـــرِها
مـــا كـــانَ إلاَّ ريثـــمـــاً حــدَّقــا
حـــتى جلَتْ دنيـــاهُ عن ســــرِّها

- رأى بعــينيـهِ الذي لـم يـرَهْ
الذئبَ ، والشـــاةَ ، وحـــربَ البـــقـــاءَ

---

(١) القُمْرِيُّ : ضرب من الحمام حسن الصوت .

مـــــا عَرَفَ الـقـــــتلَ ولا ابـصـــــرهْ
ولا رأى مـن قَبْلُ لـونَ الـدمـــــــاءْ !

- مـــــا هـى إلاَّ صـرَخَاتُ الفـزَعْ
وصـــيــحـــةُ المقـــتـــولِ والقـــاتلِ
قـــدِ انقـــضى الأمـــرُ كـــأنْ لمْ يَقَعْ
وضـــاعَ صـــوتُ الحقِّ في البـــاطلِ

- وبعـدَ سـاعـاتٍ يُوَلِّي النهـارْ
ويقـــبلُ الليلُ ، ومـــا يعلمُ !!
ســيلبثُ السـرُّ وراءَ السـتـارْ
ويخـتـفي الشـلْوُ ويُمـحي الدمُ !!

- يا أرضُ ، ولَّى عـهـدُ نوحٍ وزالْ
فَمَنْ لكِ اليـــومَ بطوفــانهِ ؟
مـــسكينةٌ تطوينَ بحـــرَ الليـــالْ
قـــد عـــزَّكِ المرسى بشطئـــانهِ !

- إلامَ تطوينَ عُبـــابَ السنينْ
شـــوقـــاً إلى فـــردوسكِ الضـــائعِ ؟
غُرِّرتِ ، يـــا أرضُ بمـــا تحـلـمـينْ
فـــاســتـيقظي من حلمكِ الخـادعِ !!

• وابقي كما أنتِ على موجِهِ
تُمَزِقُ الأنواءُ منكِ الشراعْ
يقذفُكِ التيار في لجُهِ
عشواءَ لا يهديكِ فيهِ شُعاعْ

• سلي القداساتِ وأربابَها
ضراعةٍ تصغى إليها السماءْ
أو فاطرقي بالبثِّ أبوابها
لعلَّها ترفعُ عنكِ الشقاءْ !

• يا أيها الغادونَ والرائحونْ
في شُعَبِ الأرض وليلِ الهمومْ
تُمسونَ أشتاتاً كما تصبحونْ
والشمسُ حيْري فوقَكم والنجوم !

• فابتهلي للَّهِ ، واستغفري
وكفَّرى عنكِ بنارِ الألمْ
وقدِّمي التوبةَ ، واستمطري
بين يَديْه عَبَراتِ النَّدَمْ !!

المحتويات

القصيدة	صفحة

القصيدة	صفحة

رقم الإيداع ٥٧٤٩ / ٩٦
I. S. B. N 977-01-4811-3